الجامعة الأميركية في بيروت

الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار
(من الخمسينات حتى مطلع التسعينات)

إعداد

سلمى محمود سعد

رسالة

مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة أستاذ في الآداب

(الماجستير)

إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى

في كلية الآداب والعلوم

في الجامعة الأميركية في بيروت

بيروت، لبنان

شباط ٢٠٠٠

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE ALGERIAN REVOLUTION AS REFLECTED IN THE NOVELS OF TAHER WATTAR (FROM THE FIFTIES TO THE EARLY NINETIES)

by

SALMA MAHMOUD SAAD

A thesis
submitted in partial fulfillment of the requirements
for the degree of Master of Arts
to the Department of Arabic and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon
February 2000

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE ALGERIAN REVOLUTION AS REFLECTED IN THE NOVELS OF TAHER WATTAR (FROM THE FIFTIES TO THE EARLY NINETIES)

by

SALMA MAHMOUD SAAD

Approved by:

Dr. Nadeem Naimy, Professor Arabic	Advisor
Dr. Saleh Agha, Assistant Professor Arabic	Member of Committee
Dr. Assad Khairallah, Professor Arabic	Member of Committee

Date of Thesis defense: February 15, 2000

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THESIS RELEASE FORM

I, Salma Mahmoud Saad

☑ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

☐ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals for a period of two years starting with the date of the thesis defense.

Signature

23.2.2000
Date

شكر

أشكر السفارة الجزائرية في بيروت التي لولا تعاون مستشاريها السيد علي عروج والسيد جودي بلغيت لما أبصر هذا العمل النور. كما أشكر الكاتبة الجزائرية السيدة فضيلة فاروق ورئيسي في عملي السيد طوني نعمه ومكتبة يافت في الجامعة الأميركية وكل الرفاق الذين شجعوني في رحلة هذا البحث.

مستخلص لأطروحة

سلمى محمود سعد   لماجستير في الآداب
الاختصاص: اللغة العربية وآدابها

العنوان: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار (من الخمسينات حتى مطلع التسعينات)

الطاهر وطار، موضوع رسالتنا، قصصي ومسرحي وروائي جزائري معاصر يكتب باللغة العربية. شهد اندلاع الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ و شارك فيها.

تعالج كتاباته القضايا الاجتماعية والطروحات السياسية التي عرفها التاريخ الجزائري منذ الخمسينات حتى مطلع التسعينات.

يتناول هذا البحث، دراسة إنتاج الطاهر وطار الروائي، مبينا مدى انعكاس الثورة الجزائرية بكل مراحلها فيه. وهذا الإنتاج عبارة عن ثماني روايات، تنقسم إلى ثلاثة أقسام تبعا للتغيرات السياسية التي شهدتها الجزائر منذ العام ١٩٥٤:

القسم الأول: دعوة المناضل اليساري إلى تطبيق الشيوعية وبناء مجتمع اشتراكي عادل في الجزائر.

القسم الثاني: دعوة المناضل اليساري الجزائري إلى تطبيق مشروع الثورة الزراعية في الجزائر.

القسم الثالث: خيبة المناضل اليساري الجزائري بعد فشل حكومة بلاده في تطبيق الاشتراكية ومشروع الثورة الزراعية. وفي هذه المرحلة، نبحث في خلفيات المد الأصولي في الجزائر، كما يراها الطاهر وطار.

AN ABSTRACT OF THE THESIS OF

Salma Mahmoud Saad for Masters of Arts
Major: Arabic Language and Literature

Title: The Algerian Revolution as reflected in the novels of Taher WATTAR, (from the fifties to the early nineties)

This dissertation deals with the literature of Taher Wattar, a contemporary Algerian novelist, short story writer and Dramatist, who writes in Arabic. He has witnessed as well as participated in the Algerian Revolution. His writings reflect the social and political issues of Algeria from the fifties to the early nineties.

The aim of this thesis is to study the Algerian Revolution in its different stages as reflected in the novels of Taher Wattar.

His eight novels, all that he has published so far, can be divided into three categories, based on the political changes that have taken place in Algeria since the initiation of the Revolution:

In the first category comprising *The Ace*, *The Mule's Wedding*, *The Fisherman and The Castle* and *Romana*, leftist characters call for the application of Communism and Socialism in Algeria.

In the second category comprising *The Earthquake* and *Loving and Dying in the Harrachie's Era*, the leftists call for the application of the Agricultural Revolution in Algeria along communist lines.

In the third category comprising *An Experience in Love* and *The Candle and The Taverns*, the leftist falls into disappointment because the Algerian Government failed to apply the Communist systems and to implement the Agricultural Revolution. In this third stage of disappointment, we are able to see the social, political and intellectual background in Wattar's novels to the present fundamentalist movement in Algeria.

تصدير

اخترنا الطاهر وطار، الكاتب الجزائري المعاصر، موضوعا لبحثنا، لأن معرفتنا في المشرق العربي بالأدب المغاربي لا تزال قليلة، ودراساتنا في هذا المجال نادرة. لذا، جاء هذا البحث ليوفر صلة ثقافية بين المغرب العربي ومشرقه. ولعل دراستنا هي من أولى المحاولات الأكاديمية في المشرق لدراسة أديب من المغرب العربي.

تتناول رسالتنا إنتاج الوطار الروائي، دون إنتاجه القصصي والمسرحي، لأن رواياته تشكل المسرح الأكبر الذي تنعكس فيه الثورة الجزائرية في مختلف مراحلها.

لقد واجهتنا في هذا البحث، مصاعب شتى، تمحورت أغلبها حول عدمَ توفر مادة البحث ومراجعه بصورة كافية في المكتبات العامة والجامعية في لبنان. فروايات الطاهر وطار، ليست جميعها متوفرة لدينا. كما أن النقاد المشرقيين مقلون جدا في دراسة الرواية الجزائرية. ولعل مرد ذلك إلى سببين:

أولا: إن الرواية المكتوبة باللغة العربية حديثة العهد في الجزائر.

ثانيا: إن التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي شبه معدوم منذ اضطراب الوضع الأمني الداخلي في الجزائر في السنوات الأخيرة.

إن معظم الكتب النقدية التي تناولت إنتاج الوطار الروائي بالدراسة، وضعها كتاب مغاربيون. كما أن معظم الصحف والمجلات التي تناولت أدبه بالنقد ، هي صحف ومجلات صدرت في المغرب العربي، ولا أثر لها في مكتباتنا. لذلك كان علينا الإلتجاء إلى السفارة الجزائرية في بيروت ، حيث بذل المستشار لديها السيد علي عروج، كل جهد مشكور كي يؤمن لنا، من الجزائر مباشرة وبالحقائب الدبلوماسية، روايات الطاهر وطار التي كانت تنقصنا. وقد أسفرت اتصالاتنا اللاحقة مع الكاتبة الجزائرية السيدة فضيلة فاروق المقيمة في لبنان ومع المستشار في السفارة الجزائرية السيد جودي بلغيث ، عن معرفة عنوان البريد الالكتروني (E-Mail) العائد للطاهر وطار. فراسلناه مرات عدة، وتمنينا عليه أن يرسل إلى عنواننا في لبنان، نسخا عن المقالات التي تناولت رواياته بالنقد والتحليل. فما كان من كاتبنا الكريم، إلا أن بعث إلينا بمجموعة من المقالات التي تناولت إنتاجه الروائي والقصصي والمسرحي بالدراسة، فكانت لنا عونا مهما في إقامة البحث.

تنقسم هذه الرسالة إلى سبعة فصول يبحث الفصل الأول في الخلفية الثقافية لنشأة الرواية في الجزائر، ويظهر أهم العوامل الداخلية والخارجية التي رفدت البيئة الثقافية في البلاد قبل الإستقلال وبعده. ويتحدث الفصل الثاني عن حياة الطاهر وطار وعن انتمائه العقائدي ، ويعرض إنتاجه القصصي والمسرحي والروائي. وقد كنا بصدد تقديم فصل ثالث، يتناول الثورة الشيوعية والاشتراكية في روايات أربع للوطار، هي: اللاز وعرس بغل والحوات والقصر ورمانة. لكننا رأينا أن نفرد لثورة المناضل الشيوعي في رواية اللاز، فصلا بأكمله، لأن اللاز هي أكثر روايات الوطار شيوعا، ولأن أغلب المقالات النقدية تناولتها دون سواها بالبحث والتحليل. وفي الفصل الرابع تناولنا الثورة الاشتراكية في الروايات الثلاث الأخرى. أما الفصل الخامس، فيبحث في مشروع الثورة الزراعية في الجزائر من خلال روايتي الزلزال والعشق والموت في الزمن الحراشي. ويصور الفصل السادس خيبة المناضل اليساري في الجزائر، بعد فشل حكومته في تطبيق الاشتراكية وفي ضمان استمرارية مشروع الثورة الزراعية، من خلال روايتي الوطار تجربة في العشق والشمعة والدهاليز. ونختم الرسالة بالتعليق على أهمية الوطار كرائد للرواية العربية في الجزائر، وننقد أسلوبه الروائي بصورة عامة، ونتطرق إلى الحديث عن توجهه اليساري، وعن حالة الصدام المستمرة بينه وبين رجال الدين.

المحتويات

الى اللذين وضعا القلم بين أناملي الصغيرة وأنا طفلة

ورافقاني في كل كلمة كتبتها

وعلماني ألف باء التحدي

الى والديّ

والى رنا ولينا و وليد

الفصل الأول

الخلفية الثقافية لنشأة الرواية في الجزائر

أ. العوامل الداخلية التي رفدت البيئة الثقافية في الجزائر:

١ . ما قبل الاستقلال:

ظهرت في الجزائر في مرحلة ما قبل الاستقلال*، ثلاثة عوامل داخلية لعبت دورا هاما في تحديد اتجاه الرواية الجزائرية.

أولا:

ثورة الفلاحين في الجزائر عام ١٨٧١ التي تزامنت مع ثورة أخرى مشابهة، هي ثورة العمال في باريس خلال العام نفسه. ويبدو أن هذا التزامن، قد أسهم في تشكل الفكر الاشتراكي في الجزائر. فقد نتج عن الثورة الباريسية أن طرد عدد من العمال الفرنسيين إلى الجزائر، الأمر الذي أسهم، كما يقول أحد الباحثين في الشأن الجزائري، في تلاقح فكري وسياسي بين الجزائريين والعمال المطرودين الذي كانوا يحملون فكرا اشتراكيا.[١] ويذهب واسيني الأعرج في كتابه الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، إلى أن هذا

---

* نالت الجزائر استقلالها عن فرنسا في العام ١٩٦٢ بعد مرور مائة واثنين وثلاثين سنة على الاحتلال.

١. راجع، الأعرج، واسيني، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية ، ص، ١٠و٢٠، وسنشير إليه لاحقا بـــ الأعرج، واسيني، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية.

التلاقح بين الطرفين قد أدى إلى "تجذير الفكر الاشتراكي في الجزائر، الأمر الذي استفاد منه الكثير من الكتاب الجزائريين والفرنسيين [الجزائريين] على حد سواء، ليولد فيما بعد الاتجاه الواقعي الاشتراكي وليتطور مع الطاهر وطار – موضوع بحثنا– بعد الاستقلال."[٢]

ثانيا:

تصاعد النهضة الوطنية والاصلاحية في العالم الإسلامي بقيادة جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨–١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩–١٩٠٥) ورشيد رضا (١٨٦٥–١٩٣٥)، ووصولها إلى المغرب العربي بخمس وسائل هي:

- جامعة الزيتونة في تونس التي كانت، على حد تعبير جورج الراسي، تشكل همزة الوصل بين المشرق العربي ومغربه بفعل اتصال شيوخها بالجامع الأزهر في مصر[٣] وقد شهدت جامعة الزيتونة مرور رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، الشيخ حتى عام ١٩١٢[٤].

- زيارة محمد عبده للجزائر. فقد ورد أن محمد عبده قد زار الجزائر مرتين، الأولى عام ١٨٨٣ والثانية عام ١٩٠٣[٥].

---

٢. الأعرج، واسيني، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص ، ٢٢.

٣. راجع، الراسي، جورج، الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات،ص،١٧٢و ١٧٣، وسنشير إليه لاحقا بـ"الراسي،جورج". وراجع، سلمان،نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص،١٦١، وسنشير إليه لاحقا بـ "سلمان، نور".

٤. راجع، سعد، فهمي، حركة عبد الحميد ابن باديس، ص، ٤٨، وسنشير إليه لاحقا بـ "سعد، فهمي".

٥. راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٨و١٤٩.

• قيام الأزهر الشريف في عام ١٩١٣، كما يورد أحد المهتمين في الشأن الجزائري، بتوزيع ملايين الكتب الدينية في المغرب العربي ومرور قسم منها من خلال جامعة الزيتونة في تونس[٦].

وإننا على ما نشعر به من مبالغة في هذا القول المتعلق بأعداد الكتب، فإنا نرى فيه مؤشرا إلى وجود صلات ثقافية بين المشرق العربي ومغربه.

• اتصال ابن باديس بشيوخ الأزهر في القاهرة بعد الحرب العالمية الأولى على حد ما ورد عند الراسي. والتقاء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[*] برشيد رضا في سوريا عام ١٩٢٤ [٧].

• دور الصحافة في نشر فكر جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده. فقد ورد في كتاب نور سلمان، أن صحفا جزائرية عديدة قد عرضت فكر المصلحين، منها جريدة المغرب (١٩٠٣-١٩١٣)، وجريدة ذو الفقار (١٩١٣-١٩١٤) وجريدة الإحياء (١٩٠٦-١٩٠٧). من ناحية أخرى، كان الجزائريون على إطلاع على مجلة جمال الدين الأفغاني العروة الوثقى[٨].

لقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في نشأة عدد من الحركات الثقافية في الجزائر،

---

٦. راجع، الراسي، جورج ، ص، ١٧٣.

* أحد أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر الذي خلف" ابن باديس" على رأس جمعية العلماء المسلمين عام ١٩٣١، كما أنشأ جريدة البصائر الثانية عام ١٩٤٧ (راجع، الراسي، جورج ،ص ،١٨٦و١٨٨).

٧. راجع، الراسي، جورج، ص ،١٧٣.

٨. راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٨.

منها المدارس ومنها الصحافة، بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي رفع شعار: "الإسلام ديني، العروبة لغتي، الجزائر وطني" [٩] .

لعبت الحركة الإصلاحية في الجزائر دورا هاما في ترويج اللغة العربية مقابل اللغة الفرنسية في البلاد. إذ قام رواد الحركة بعدة أعمال من شأنها الحفاظ على هوية الجزائر العربية والإسلامية:

- أسس عبد الحميد ابن باديس، كما يورد عبد الملك مرتاض، المدارس العربية الحرة في الجزائر، بعد أن كان "الأطفال الجزائريون يزاولون ضربين من التعليم لا ثالث لهما: إما أن يترددوا على المدارس الفرنسية الرسمية، أو أن يختلفوا إلى الكتاتيب القرآنية" [١٠] .

- أصدر الشيخ ابن باديس في عام ١٩٢٥ جريدة المنتقد لتكون منبرا يبث من خلاله باللغة العربية آراءه الإصلاحية. إلا أن السلطات الفرنسية عطلتها [١١]. فأصدر بعدها مباشرة مجلة الشهاب التي "عمرت نحو خمسة عشر عاما" [١٢] . واستخدمت، على حد تعبير مايكل ويليس، منبرا لمناقشة الأفكار الداعية إلى الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي.

---

٩. الأدب الجزائري المعاصر، من منشورات المركز الجزائري للإعلام والثقافة، ص ، ٢٩، وسنشير إليه لاحقا بـــ الأدب الجزائري المعاصر.

١٠. مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ٢٦، وسنشير إليه لاحقا بـــ "مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر".

١١. راجع، سعد، فهمي، ص، ٦٠.

١٢. مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ،ص، ٤١.

كما نشرت نظريات للمصلحين مثل محمد عبده[١٣].

• أسس الشيخ ابن باديس "جمعية العلماء المسلمين" عام ١٩٣١. وكان هدفها، حسبما أورده مرتاض، جمع الناطقين باللغة العربية وتوحيد آرائهم الدينية وتنسيق جهودهم في حقل التعليم الحر[١٤].

• أصدر الشيخ ابن باديس عام ١٩٣٥ جريدة البصائر الأولى التي استمرت حتى عام ١٩٣٩ [١٥]. وعادت فظهرت ثانية مع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عام ١٩٤٧ [١٦]. وقد تميزت البصائر الثانية، على حد قول عبد الملك مرتاض، "بالأسلوب الأدبي المشرق البليغ"[١٧].ومن أبرز كتابها الشيخ الإبراهيمي نفسه * وحمزة بوكوشه الذي كان مديرا في إحدى مدارس جمعية العلماء [١٨].

• أسس الشيخ الإبراهيمي عام ١٩٤٨، "معهد ابن باديس" في قسنطينة. ويقال إنه أول معهد للدراسة الثانوية باللغة العربية في الجزائر[١٩].

---

١٣. راجع، ويليس، مايكل، التحدي الإسلامي في الجزائر، ص، ٢٦، وسنشير إليه لاحقا بـــ "ويليس، مايكل".

١٤. راجع، مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص ، ٤٢.

١٥. راجع، مرتاض، عبد الملك،، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ١٠٠ .

١٦. راجع، مرتاض، عبد الملك،، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ٤٢ .

١٧. مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ١٠٣ .

* نشرت البصائر الثانية للشيخ الإبراهيمي روايتين هما: كاهنة أوراس والثلاثة. (راجع، دوغان، أحمد، في الأدب الجزائري الحديث، ص، ٣٤٩، وسنشير إليه لاحقا بـــ "دوغان، أحمد").

١٨. راجع، الأدب الجزائري المعاصر، ص ، ٣٤.

١٩. راجع، مرتاض، عبد الملك،، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ٤٢ و٤٣.

لم يكن دور الحركة الإصلاحية في الجزائر مقصورا على مسألة اللغة والهوية والعودة بالجزائر إلى إسلامها، بل تعدى هذه الأمور إلى الإصلاح الاجتماعي. فقد تناول ابن باديس في الشهاب قضايا الشباب من جهالة وتفرنس، وتطرق إلى قضية المرأة بعد أن شاعت في مصر، دعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة. ففي ما يتعلق بموضوع سفور المرأة، دعا ابن باديس إلى رفع حجاب الجهل عن عقل المرأة قبل رفع حجاب الستر عن وجهها. ونشر في الشهاب آراء رشيد رضا المتعلقة بمسألة اختلاط المرأة بالرجل ومسألة المواريث [٢٠].

إزاء هذه المناقشات على صفحات الشهاب ، ظهرت في الجزائر في مرحلة الثلاثينات والأربعينات، فئة من الكتاب تناولت موضوعات الإصلاح الاجتماعي. من هؤلاء، القاص والروائي أحمد رضا حوحو (١٩١١-١٩٦٥) الذي تعرض في كتاباته إلى قضية المرأة الجزائرية ودافع عن حقوقها مطالبا بتعلمها [٢١].

ففي روايته غادة أم القرى* التي صدرت عام ١٩٤٧، قدم حوحو إهداءه إلى "تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب.. من نعمة العلم.. من نعمة الحرية.. إلى تلك

---

٢٠. راجع، سعد، فهمي، ص، ٩٢و٩٣.

٢١. راجع، دوغان، أحمد، ص، ٣٢١.

* يجمع الباحثون على أن رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو هي أول رواية عربية ظهرت في الجزائر قبل مرحلة السبعينات، باستثناء رواية حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن ابرهيم التي عثر عليها د.أبو القاسم سعد الله مخطوطة في المكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة فقام بتحقيقها وطباعتها عام ١٩٧٧ (راجع ،دوغان، أحمد ،ص، ٨٥ و٣٦٧).

المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود.. إلى المرأة الجزائرية" [٢٢].

ثالثا:

انتفاضة ٨ أيار عام ١٩٤٥ التي وقعت في سطيف وقلما وخراطة وغيرها من المناطق الجزائرية، على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء على النازيين. إذ خرج الشعب الجزائري في مظاهرات، يطالب السلطات الفرنسية بالوفاء بالوعود المضروبة له وهو يساق إلى الحرب *. فما كان من السلطات الفرنسية إلا أن تصدت لهذه التظاهرات، فوقع عدد كبير من القتلى جعلته المصادر ٤٥ ألفاً [٢٣].

أسهمت هذه المجزرة في إيقاظ الوعي السياسي عند بعض المثقفين الجزائريين. فكاتب ياسين، الكاتب الجزائري باللغة الفرنسية، الذي سجن عدة أشهر على اثر اشتراكه في انتفاضة ١٩٤٥ يقول، كما روي عنه: "عام ١٩٤٥ استفزت إنسانيتي، هنا صقلت وطنيتي" [٢٤]. كما روي عن الشـــاعر والروائي باللغة الفرنسية مالك حداد، قوله إن يوم ٨ أيار ١٩٤٥ هو يوم ميلاده [٢٥].

---

٢٢. دوغان ، أحمد، ص، ٣٢١.

* وعدت فرنسا أن تعطي الجزائر استقلالها في حال شارك الجزائريون في الحرب العالمية الثانية وتحقق للحلفاء النصر. إلا أن فرنسا لم تف بوعدها (راجع، الأدب الجزائري المعاصر ،ص، ٣٩، و الجزائر إلى أين، مركز الدراسات والأبحاث في دار الكاتب العربي، ص، ١٠٩، وسنشير اليه لاحقا بـــ الجزائر إلى أين).

٢٣. راجع، الجزائر إلى أين، ص، ١٢٠.

٢٤ . الراسي، جورج، ص، ١٦٣.

٢٥ . راجع، دوغان، أحمد، ص، ٣٢٥.

ويذهب بعضهم إلى حد اعتبار انتفاضة ١٩٤٥، نقطة تحول في الأدب الجزائري، فبعد أن كان الأدب العربي في الجزائر سلفيا تقليديا، يعنى بالمحسنات اللفظية ويعول على اللغة كغاية جمالية في ذاتها، صار بعد انتفاضة ١٩٤٥ أدبا إنسانيا يحاكي قضايا الشعب الجزائري في آلامه وآماله[٢٦]. وصار يعتمد الألفاظ السهلة ويسهب في وصف مشاكل المجتمع الجزائري. فظهرت عام ١٩٤٧ أول رواية باللغة العربية في الجزائر وهي رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو.

وفي عام ١٩٥١، صدرت باللغة العربية رواية الطالب المنكوب* لعبد المجيد الشافعي عن دار الكتب العربية في تونس. كما ظهرت الرواية نفسها في سلسلة [كتاب البعث] في تونس في العام نفسه[٢٧].

من جهة أخرى، سادت في المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٣، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية التي، كما يقول واسيني الأعرج، لا تزيد عن وصف ما تراه العين يوميا. وتمثل هذه الحقبة بعض كتابات مولود فرعون ومولود معمري ومحمد ديب[٢٨].

ويذهب واسيني الأعرج إلى القول بأن انتفاضة ١٩ ايار ١٩٥٦، قد تركت

---

٢٦ . راجع، مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ١٤٧ و١٤٨ و١٤٩.

* يتفرد أحمد دوغان في كتابه في الأدب الجزائري الحديث ص ٨٥، في رد رواية الطالب المنكوب لا إلى سنة ١٩٥١ كما أجمع مؤرخو الأدب الجزائري، بل إلى أواخر الأربعينات.

٢٧ . راجع، بن قينه، عمر، في الأدب الجزائري الحديث، ص، ١٩٧ و٢٤٣، وسنشير إليه لاحقا بـ بن قينة، عمر.

٢٨ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٧٨ و٧٩.

بصماتها أيضا على الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. إذ أعلنت جبهة التحرير الوطنية على أثر الانتفاضة، عن خطوطها العريضة التي قال فيها أحدهم:

"إن الثورة الجزائرية ليست حربا أهلية أو دينية، انها تريد أن تقيم جمهورية اشتراكية ديمقراطية تؤمن المساواة الحقيقية بين جميع المواطنين، في بلاد واحدة دون أي تمييز"[٢٩].

تركت هذه الأحداث أثرها على الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، فظهرت، كما يرى واسيني الأعرج، أعمال أكثر واقعية وأكثر نضجاً متجاوزة النقد المجرد (النقد الاجتماعي المجرد) . ولعل كتابات محمد ديب وكاتب ياسين هي على رأس هذه الأعمال[٣٠].

كما تبلور بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٢ أدب المقاومة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية واتخذ، على حد قول واسيني الأعرج، "أبعادا أكثر اتساعاً وأكثر شمولية وصار يقدّس الشهادة في سبيل الوطن[٣١]". ولعل أحسن من يمثّل هذه الحقبة محمد ديب ومولود فرعون، ومالك حداد[٣٢].

مقابل هذا الإنتاج الذي يمكن ان يعتبر كثيفا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في مرحلة الخمسينات ومطلع الستينات، لم تظهر بالعربية في الجزائر بعد رواية

---

٢٩ . واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٣١ (عن كتابة قصة الثورة الجزائرية، للشقيري، أحمد، ص ١١٩).

٣٠ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٧٩.

٣١ . واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٨٠.

٣٢ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٨٠.

الطالب المنكوب سوى رواية واحدة، هي رواية الحريق لنور الدين بو جدرة، التي صدرت، كما يقول عمر بن قينة، عام ١٩٥٧ عن الشركة التونسية للفنون والرسم[٣٣].

كما ظهرت لأحمد رضا حوحو بعد روايته الأولى غادة أم القرى، ثلاث مجموعات قصصية:

الأولى: بعنوان مع حمار الحكيم، صدرت في الجزائر عام ١٩٥٣، وتضم مجموعة مقالات نقدية قصصية ساخرة نشرت تباعا" في جريدة البصائر الثانية[٣٤].

الثانية: بعنوان صاحبة الوحي، صدرت في الجزائر عام ١٩٥٤، وهي مجموعة قصصية تضمن ثماني قصص ومسرحية واحدة.

الثالثة: بعنوان نماذج بشرية، صدرت في الجزائر عام ١٩٥٥، وهي تجمع بين القصة والمقالة[٣٥].

وقد ساد الطابع الاجتماعي، والإصلاحي على وجه الخصوص، أغلب كتابات أحمد رضا حوحو[٣٦].

٢ . *ما بعد الاستقلال:*

ثمة عاملان داخليان على الأقل رفدا البيئة الثقافية في الجزائر بعد استقلالها عام

---

٣٣ . راجع، بن قينة، عمر، ص، ١٩٨ و٢٤٣.

٣٤ . راجع، مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص، ١٠٤.

٣٥ . راجع، دوغان، أحمد، ص، ٣٢٠.

٣٦ . راجع، دوغان، أحمد، ص، ٣٢٠.

١٩٦٢ وحددا هوية الاتجاهات الروائية:

أولا:

يذهب واسيني الأعرج إلى أن الجزائر قد مرت بعد الاستقلال بظروف اقتصادية سيئة بسبب المردود الضئيل الذي قدمته الأراضي الزراعية التي سيّرت ذاتيا من قبل الفلاحين بعد ترك الاستعمار لها[٣٧].

وقد تزامن هذا الوضع الاقتصادي السيئ في الجزائر بعد الاستقلال مع غياب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية. فالرواية الأولى بالعربية بعد الاستقلال تأخرت على ما يبدو حتى عام ١٩٦٧، وهي رواية صوت الغرام لمحمد المنيع.

إلا أن ظهور الرواية الجزائرية بالعربية يبدو مؤقتاً، لأنها عادت فغابت عن الساحة الأدبية حتى عام ١٩٧٠، حين ظهرت بكثافة كما يصف ظهورها واسيني الأعرج[٣٨].

لكننا من جهة ثانية نجد أن هذه المرحلة الممتدة من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٧٠، قد عرفت في المقابل تجارب رائدة في القصة القصيرة. إذ صدرت لعبد الحميد بن هدوقة مجموعته القصصية الأشعة السبعة في تونس عام ١٩٦٢ [٣٩]. كما صدرت

٣٧ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٨٦.

٣٨ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٩١.

٣٩ . راجع، دوغان، أحمد، ص، ٤١١.

لزهور الونيسي، وهي أول قصصية وروائية جزائرية* كتبت باللغة العربية، مجموعتها القصصية الرصيف النائم، في عام ١٩٦٧. أما الطاهر وطار فقد ظهرت له مجموعته القصصية الطعنات عام ١٩٦٩، عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، وهي تشتمل على إحدى عشرة قصة.

في هذه الأثناء، كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قد قطعت، على حد تعبير واسيني الأعرج، أشواطا كبيرة. إذ حققت في مرحلة الستينات إنجازات فنية هامة لا على الصعيد المحلي فحسب ولكن على الصعيد العالمي أيضاً. ساعدتها في ذلك ظروف خاصة افتقدتها الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية. من بين هذه الظروف، ثقافة الروائيين الذين كانوا منفتحين على الأعمال الروائية العالمية، إضافة إلى الرصيد الروائي الذي خلفه كتاب فرنسيون أقاموا في الجزائر[٤٠]، أمثال البير كامو وإمانويل روبلز....

ثانيا:

تحققت للشعب الجزائري مع بداية السبعينات، مكاسب ثورية هامة، منها: الثورة الزراعية، والتسيير الاشتراكي للمؤسسات والطب المجاني، وكذلك لجان التطوع في الجامعات لفائدة الثورة الزراعية[٤١].

في ظل هذه التغييرات الاجتماعية والتحولات السياسية، ظهرت في عام١٩٧١

---

* صدرت روايتها الأولى من يوميات مدرسة حرة عام ١٩٧٩.

٤٠. راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ٨٩.

٤١ . راجع، واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص، ١٠٢.

رواية ريح الجنوب لــ"عبد الحميد بن هدوقة"،التي انهى كتابتها عام١٩٧٠، فجاءت بمثابة تنبؤ بالثورة الزراعية"[٤٢]*. كما ظهرت في العام ١٩٧٤ رواية الزلزال للطاهر وطار** التي تناولت موضوع الثورة الزراعية كما صدرت له في العام ١٩٨٠ رواية العشق والموت في الزمن الحراشي*** التي تناولت موضوع لجان التطوع في الجامعات.

وظهرت في عام ١٩٧٥ رواية عبد الحميد بن هدوقه الثانية، وهي رواية نهاية الأمس. كما صدرت لزهور ونيسي عام ١٩٧٩ رواية من يوميات مدرسة حرة[٤٣].

ب. العوامل الخارجية التي رفدت البيئة الثقافية في الجزائر.

١. تأثر الروائيين الجزائريين بكتابات المشرق العربي:

تأثر الروائيون الجزائريون الذين يكتبون باللغة العربية، بكتابات المشرق

---

٤٢. راجع، دوغان، أحمد، ص، ٤١٠.

* أعلن الرئيس بومدين قانون الثورة الزراعية في ١٩٧١/١١/٨ (الخالدي، سهيل، الثورة الزراعية في الجزائر، ص، ١١٢، وسنشير إليه لاحقا بالخالدي، سهيل).

** لقد صدرت للطاهر وطار في العام نفسه، رواية اللاز التي استغرق في كتابتها كما يقول سبع سنوات (١٩٦٥-١٩٧٢). إلا أنها لا تتناول موضوع الثورة الزراعية. ويوضح الكاتب هذا الأمر في مقدمة روايته بقوله: "حتى أنهي هذه، حتى أصل إلى التعرية عن آخر الجذور، بعد ذلك انكب على إبراز الوجه الجديد لبلادي العزيزة". ويضيف "بعد أن أنهي هذا العمل...، سأقتطع من عمري سنوات أخرى، ساعة فساعة، لأضع رسما جميلا لبلادي الثائرة... بلاد التسيير الاشتراكي والثورة الزراعية..." (وطار، الطاهر، اللاز، ص، ٧و٨، وسنشير إليه لاحقا بــ اللاز).

*** أنهى الطاهر وطار كتابة الرواية في عام ١٩٧٨ (وطار، الطاهر، العشق والموت في الزمن الحراشي، ص، ٢١٩، وسنشير إليه لاحقا بــ العشق والموت).

٤٣. راجع، دوغان أحمد، ص ٣٧٨ و٤١١.

العربي. فقد أورد عبد الملك مرتاض، في كتابه الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، أن الروائيين الجزائريين كانوا "أول الأمر مضطرين إلى تقليد المشارقة واقتفاء سبيلهم"[٤٤]. نذكر هنا أحمد رضا حوحو الذي استلهم كتابه مع حمار الحكيم مما كتبه توفيق الحكيم، وقد اعترف حوحو بذلك في مقدمة كتابه.

٢ . تأثر الروائيين الجزائريين بالإنتاج الغربي:

تأثر الروائيون الجزائريون، وبالأخص الذين يكتبون باللغة الفرنسية، بالانتاج الروائي الغربي والفرنسي على وجه التحديد. وهذا الأمر عائد إلى التواصل الثقافي بين الجزائر وفرنسا إبان الاستعمار، ووجود كتاب فرنسيين في الجزائر أمثال البير كامو وادمون شارلو...

٣ . تأثر الروائيين الجزائريين بالحركة الناصرية:

أثرت الحركة الناصرية في مصر في البيئة الثقافية في الجزائر، وأسهمت في رأينا في بلورة الاتجاه الواقعي الاشتراكي في الرواية الجزائرية.

فقد كان جمال عبد الناصر يطمح بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى تحقيق وحدة عربية، عمادها الاشتراكية والقضاء على القوى الرأسمالية وإنجاز مشروع الإصلاح

---

٤٤. مرتاض، عبد الملك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، ص، ١٠٧.

الزراعي الذي من شأنه أن يحول الفلاح إلى ملاك للأرض التي يزرعها. ورأى عبد الناصر أن الاستقلال في حد ذاته ليس غاية بل وسيلة من أجل تحقيق وضع اجتماعي أفضل[٤٥].

ونحن نجد كل هذه المضامين في إنتاج الروائيين الجزائريين الكاتبين باللغة العربية، أمثال عبد الحميد بن هدوقه والطاهر وطار.

وهكذا تضافرت العوامل الداخلية والخارجية على خلق البيئة الثقافية التي تولدت فيها الرواية الجزائرية بما فيها روايات الطاهر وطار، موضوع هذا البحث.

---

٤٥. راجع، أحمد، رفعت سيد، ثورة الجنرال جمال عبد الناصر، ص، ٤٤٤ و ٥٣١ و ٥٤٤.

الفصل الثاني

حياة الطاهر وطار وأعماله

أ. حياته:

ولد الطاهر وطار، على ما أورده الأب روبرت كامبل، في ١٥ آب* ١٩٣٦، في بادية الشرق الجزائري**. هو من عائلة فلاحية متوسطة [٤٦] تنتمي، على حد قول الوطار، إلى قبيلة الحراكتة، وهي هجين من العرب والبربر ونصفها زنوج [٤٧].

---

* يقول الطاهر وطار في نص سيرته الذاتية كما يرد في كتاب الأب روبرت كامبل، إنه من مواليد ١٥ آب ١٩٣٦. لكنه في حوار أجرته معه الثقافة الجديدة العراقية يحدد تاريخ ولادته بـ ٥ آب ١٩٣٦. (راجع، "الطاهر وطار يتحدث للثقافة الجديدة: في الأدب رسالة خلاص للإنسانية"، مجلة الثقافة الجديدة ، السنة ٢٨، العدد ١١/١٢، أيلول /تشرين أول ١٩٨١، ص ، ١٥٧، وسنشير إليها لاحقاً بـ الثقافة الجديدة).

** يذهب بوشوشه بن جمعة في كتابة مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة ، إلى القول بأن محل ولادة الطاهر هو قرية صدراتا. في حين يشير الأب روبرت كامل إلى أن مسقط رأس الوطار هو قرية مداوروش. ونحن نرجح ما أورده بوشوشة بن جمعة، لأن الوطار يصرّح في حوار له مع مجلة إلي الأمام، بأنه تعلم في مدرسة جمعية العلماء في مداوروش وقال أنها قرية تبعد عن ديرته حوالي تسعة كيلومترات وهي المسافة التي تفصل بين صدراتا ومداوروش (راجع، حميد، حسن،" في لقائه مع إلي الإمام، الطاهر وطار: لست مباشراً في كتابتي وإنما عميق عمق البساطة "، مجلة الى الأمام، العدد ٢٢٢٢، الجمعة ٤ – ١٠ شباط ١٩٩٤، ص، ٤١، وسنشير إليه لاحقاً بـ حميد، حسن، إلي الإمام. و راجع، بن جمعه ، بوشوشه، مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة، الجزء الاول، ص، ٢١٢، وسنشير اليه لاحقا بـ "بن جمعه، بوشوشه").

٤٦. كامبل، روبرت، إعلام الأدب العربي المعاصر ،ص ،١٣٧١، وسنشير إليه لاحقا بـ" كامبل، روبرت".

٤٧. راجع، الثقافة الجديدة ،ص، ١٥٧.

كانت أمه لا تفهم العربية [٤٨] . وقد تعلم الوطار العربية متأخرا [٤٩].ينتمي الطاهر وطار إلى أسرةٍ مؤلفة من ستة أفراد. يقول لـــ الثقافة الجديدة: "نحن أربعة أخوة" [٥٠] . وفي كتاب الأب كامبل، يورد مستخدما ضمير الغائب:"هو أخ لثلاثة ذكور"[٥١] . كان والده "موظفا صغيرا جدا في البلدية [وظيفة كاتب عادي]"[٥٢] ، وقد قرر أن يرسل اثنين من أبنائه إلى المدرسة الفرنسية واثنين إلى المدارس الحرة التي تعلم اللغة العربية. فكان نصيب الطاهر القسم الثاني [٥٣] .

تعلم الطاهر وطار النحو والصرف في مدرسة جمعية العلماء في قرية مداوروش[٥٤] . والتحق في سن السابعة عشرة بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة[٥٥]. وهو يحدثنا عن نوادره في سن المراهقة، فيقول إنه حاول في هذه الفترة أن يغني وكان يوميا يؤدي بعض الأغاني الفولكلورية المعروفة في منطقته، ولما عاد من

٤٨. راجع ، الراسي، جورج، ص، ٣٠.

٤٩. راجع ،حميد، حسن، الى الإمام ،ص، ٤١.

٥٠. الثقافة الجديدة ،ص، ١٥٧.

٥١. كامبل، روبرت، ص، ١٣٧١.

٥٢. حميد، حسن،إلى الإمام ،ص، ٤١ .

٥٣. راجع، كامبل، روبرت ،ص، ١٣٧١.

٥٤. راجع،حميد، حسن، إلى الأمام ،ص ،٤١.

٥٥. راجع، كامبل، روبرت ،ص، ١٣٧١.

قسنطينة كان يحمل معه ربابة، فوشى به إخوته عند أبيه فكسرها[٥٦]. ونحن نجد في كتاباته الروائية آثار بعض هذه الذكريات، كما سنبين في فصل لاحق.

بعد معهد ابن باديس، انتقل الوطار مع بداية الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ إلى جامعة الزيتونة في تونس[٥٧]. لكنه انقطع عن الدراسة بعد عامين نتيجة مشاركته في الإضراب الذي نظمه الطلبة الجزائريون فيها والذي تأتى عنه صدور قرار بفصله[٥٨]. لقد غادر الوطار جامعة الزيتونة قبل أن ينال أي شهادة. يقول: "أنهيت السنة الرابعة من دراستي الثانوية.. لم أنل شهادة في حياتي سوى شهادة الجنسية وشهادة سياقة السيارة.. التحقت بالثورة الجزائرية منذ يومها الأول، وبقي بعض زملائي في الدراسة، وهم الآن دكاترة في جامعات الجزائر. أنا غير آسف لانقطاعي عن الدراسة.. وإذا تكررت الحياة سأعيد ذلك مرة أخرى[٥٩]". انخرط الطاهر وطار في جبهة التحرير الوطني منذ العام ١٩٥٦ [٦٠]. كما عمل أثناء مكوثه في تونس، على حد قوله، في حقل الصحافة بتكليف من الثورة الجزائرية [٦١]. فكتب، كما يورد بوشوشة بن جمعة، في عدد من الصحف التونسية كـ البلاغ والجديد والأخبار، وعمل على إصدار بعض الجرائد الأخرى كـ النداء ولواء

---

٥٦. راجع، حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٤١ .

٥٧. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٢.

٥٨. راجع، الثقافة الجديدة ،ص ، ١٥٧.

٥٩. الثقافة الجديدة ،ص، ١٥٧.

٦٠. راجع ، كامبل، روبرت،ص، ١٣٧٢.

٦١. راجع ، كامبل، روبرت، ص ،١٣٧٢.

البرلمان، قبل أن يلتحق بصحيفة الصباح في تونس ويتدرب صحفياً على يد رئيس تحريرها الهادي العبيدي[٦٢] . نشير هنا إلى أن جريدة الصباح قد نشرت في منتصف الخمسينات أول قصة للطاهر وطار بعنوان الحب الضائع[٦٣] .

عاد الطاهر وطار إلى الجزائر في مطلع الاستقلال عام ١٩٦٢، حيث أسس في قسنطينة أول جريدة أسبوعية باللغة العربية هي جريدة الأحرار، وبعدها أصدر في الجزائر العاصمة جريدة الجماهير[٦٤] التي أوقفت ، كما يقول الوطار، بسبب مقال كتبه وهاجم فيه فرحات عباس رئيس المجلس الشعبي الوطني حينها*. كما عمل الوطار مشرفا على الملحق الثقافي لجريدة الشعب الجزائرية [٦٥].

وفي العام ١٩٨٩، أسس الطاهر وطار مع الشاعر يوسف السبتي جمعية أدبية أطلقا عليها اسم "الجاحظية" نسبةً إلى الجاحظ، لأنه كان معروفا بجمعه لأهل العلم والأدب[٦٦].

---

٦٢. راجع، بن جمعة، بوشوشة، ص، ٢١٢.

٦٣. راجع، حميد، حسن، إلي الأمام ، ص، ٤١.

٦٤. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٢.

* يورد الوطار قوله هـذا في رسالة بعثـهـا بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٥ إلى عنواننا في البريد الإلكتروني، والرسالة محفوظة لدينـا ٠

٦٥. راجع، الفيصل، سمر روحي، معجم الروائيين العرب، ص، ٢٢٥.

٦٦. راحع، لارادي، فوزية، "الروائي والمفكر الجزائري الكبير الطاهر وطار للفينيق: أنا ضد المثقفين الذين يستسلمون للسلطة"، مجلة الفينيق ، ١ ديسمبر١٩٩٧، ص،١٩، وسنشير إليه لاحقا بـ لارادي، فوزية ، الفينيق.

ويذهب الوطار إلى القول إن الجمعية "جاءت كرد فعلٍ لتسييس الثقافة وتحزيب المثقفين"[٦٧] . فهي، كما يقول لـــ الفينيق ، تضم تيارات مختلفة، وكل واحد يعبر عن علاقته بالسلطة داخل حزبه، لكن في "الجاحظية" يكون همه الوحيد هو ذكرى جمال الدين الأفغاني، والجواهري، ومفدي ذكريا، والجابري والفكر.. الفكر كله"[٦٨] .

يؤكد الطاهر وطار هنا، أن جمعية "الجاحظية" تفصل بين الأدب والسياسة، الأمر الذي نستغربه، خاصة أن الوطار كاتب ملتزم واكب قضايا شعبه في كتاباته منذ الخمسينات حتى الآن، وقد تحدث في العام ١٩٨١ لـــ الثقافة الجديدة ، عن مفهومه للأدب والسياسة فقال: "أنا أمارس الأدب كوسيلة سياسية وليس كهواية، ولو لم تكن لدي دوافع سياسة لوجدت مجالات كثيرة لتزجية وقتي"[٦٩] .

نظمت جمعية "الجاحظية" مسابقة أدبية تعنى بالشعر هي مسابقة "مفدي ذكريا"، شاعر الثورة الجزائرية [٧٠] . كما صدرت عنها مجلتان القصيدة[٧١] والتبيين[٧٢]. وتأسست عام ١٩٩٠ برعاية الجمعية فرقة مسرحية بإسم "فرقة مصطفى كاتب" [٧٣] .

---

٦٧. لارادي، فوزية، الفينيق ، ص، ١٩.

٦٨. راجع، لارادي ،فوزية ، الفينيق، ص، ١٩.

٦٩. الثقافة الجديدة، ص، ١٥٩.

٧٠. راجع، لارادي ، فوزية ،الفينيق، ص ،١٩.

٧١. راجع، لارادي ، فوزية ، الفينيق، ص، ١٩.

٧٢. راجع، بن جمعة، بوشوشة ، ص، ٢١٢ .

٧٣. راجع، بدران، نبيل، "المسرح الجزائري يواجه الإرهاب"،مجلة آخر ساعة ، ٢٧ أيلول١٩٩٥.

ب. انتماؤه العقائدي:

تتأرجح تصريحات الطاهر وطار بين مؤكدٍ لانتمائه إلى اليسار وبين نافٍ لهذا الانتماء.

ففي كتاب الأب روبرت كامبل يقول الوطار مستخدما ضمير الغائب: "في سن الثانية والعشرين، تعرّف على الفلسفة الماركسية فتبناها وكرّس لها حياته" [٧٤].

وإذا كانت كلمات الوطار هذه تنسب إليه انتماءه الى الماركسية، فإن الحوار الذي أجراه معه جهاد فاضل في مجلة العربي عام ١٩٩٦ يظهر النقيض، إذ يقول الوطار فيه: "إنني لم أقل في يوم من الأيام إنني ماركسي أو إنني شيوعي. ولم أكتب هذا في رواياتي. أنا أقول إنني مناضل عمالي، بهذا التعبير، واكتفي بهذا. أنا لا أزل مناضلا عماليا غير متحزب أصلاً... أما هذه التصنيفات، فاترك للناس أن يستخلصوها من كتاباتي. أنا لا أجازف بتصنيف نفسي" [٧٥]. يأتي كلام الوطار لـــ العربي بمثابة تراجع عن إعلانه السابق أو قولبة لمفاهيمه القديمة ضمن أطر واقعية جديدة تتماشى مع التغييرات السياسية التي طرأت على اليسار. فهو في مراقبته للثابت والمتغير، يتوصل إلى القول بأن "الثابت هو الطبقة العاملة، مصلحتها وحقوقها وما عدا ذلك فهو متغير" [٧٦].

لكننا في المقابل، نعود فنلتقي مجددا بالطاهر وطار اليساري، في حوار أجرته

---

٧٤. كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٢.

٧٥. فاضل، جهاد، "الطاهر وطار: من حسن حظ الكاتب العربي أن له امتداداً في التاريخ"، مجلة العربي، العدد ٤٤٦، كانون الثاني ١٩٩٦، ص، ٦٨ و٦٩ ، وسنشير إليها لاحقاً بـــ فاضل ، جهاد ، العربي.

٧٦. فاضل ،جهاد ، العربي، ص، ٦٨.

معه الفينيق عام ١٩٩٧. إذ يقول معلقا على انهيار المنظومة الاشتراكية:

"أنا أقول دائما إن المسألة تتعلق بهزيمة مناضلين وليس بإفلاس أيديولوجية. لأنه لو حكمنا على كل فكر لم يطبّق كما ينبغي أو توقف تطبيقه في فترة تاريخية بالإفلاس، سنحكم على فكر إنساني كله، بما في ذلك الديانات وهذا غير صحيح. ما يزال الناس يطمحون إلى العدل الاجتماعي، إلى التوزيع العادل لثروات الأمم، ويناضلون من أجل هذا وأنا من هؤلاء الناس ولم أغير موقفي أبدا ".[٧٧]

يرفض الطاهر وطار أن يسلم بإفلاس أيديولوجية الاشتراكية. فهو ما يزال يدافع عنها، مؤمنا بضرورة تطبيقها من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية. يقول في حوار أجراه معه رضوان عقيل:

"لقد انهزمنا [كاشتراكيين] في كل العالم... ولكن رغم الهزيمة لم يتزعزع إيماننا بمبدأين: العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة الوطنية[٧٨]".

ونحن سندرس في الفصول اللاحقة ماركسية الوطار من خلال رواياته.

ج. إنتاجه الفكري وقراءاته:

الطاهر وطار قاص ومسرحي وروائي له حتى تاريخ إعداد هذه الرسالة، ثلاث مجموعات قصصية ومسرحيتان وثماني روايات.

---

٧٧. لارادي، فوزية، الفينيق، ص، ١٨ .

٧٨. عقيل، رضوان، "الطاهر وطار: السلطة فاشية وتريدنا أن لا نقول الحقيقة"، الملحق، السبت في ٢٠ كانون الأول ١٩٩٧، ص، ١٥، وسنشير إليه لاحقاً بـــ عقيل، رضوان، الملحق.

بدأ كتابة القصة القصيرة في منتصف الخمسينات، أثناء دراسته في جامعة الزيتونة في تونس، بعد إطلاعه على فن القصة القصيرة من خلال مجلة القصة القصيرة [٧٩] . يقول الوطار: "اكتشفت أنه بمقدوري أن أكتب مثل تلك القصص.. وهكذا كان، فشرعت أكتب قصة عنوانها (الحب الضائع)... ما إن أنجزتها حتى أرسلتها إلى جريدة يومية في تونس هي (الصباح) وفوجئت بأنهم نشروها وإسمي بارز بحروف كبيرة، من ذلك اليوم لم أترك الكتابة إلى يومنا هذا." [٨٠] بعد نشر قصته الأولى، راح الوطار يقرأ كل ما تقع عليه يده من روايات وقصص، فقرأ روايات توفيق الحكيم ومسرحياته وروايات نجيب محفوظ وسهيل إدريس [٨١] .

وبدأ في سن التاسعة عشرة يكتب مجموعته القصصية الأولى دخان من قلبي التي تضم ثماني قصص قصيرة كتبت بين عامي ١٩٥٥ و١٩٦١. وقد صدرت هذه المجموعة في طبعتها الأولى في تونس عام ١٩٦٢، كما صدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر عام ١٩٨٢[٨٢] .

وفي عام ١٩٧٢، عرضت قصة "نوة" من هذه المجموعة في السينما [٨٣].

---

٧٩. راجع،حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٤١.

٨٠. حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٤١.

٨١. راجع،حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٤١.

٨٢. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٣.

٨٣. راجع، "الشهداء يعودون هذا الأسبوع في المسرح الوطني"، صحيفة الشعب، ١١ مارس ١٩٨٧، وسنشير إليها لاحقا" بـ الشعب، ١١ مارس١٩٨٧.

أما المجموعة القصصية الثانية للطاهر وطار فهي الطعنات، وهي تضم إحدى عشرة قصة كتبت بين عام ١٩٦٠ وكانون الثاني من عام ١٩٦٩ [٨٤]. يقول الوطار: "هي أطول مجموعة جزائرية تقريباً، من حيث عدد القصص التي ضمتها" [٨٥] .

وقد صدرت الطعنات عن الشركة الوطنية للتوزيع والنشر في الجزائر عام ١٩٦٩.

أما المجموعة القصصية الثالثة والأخيرة للطاهر وطار فهي الشهداء يعودون هذا الأسبوع، وهي تضم سبع قصص. صدرت عن دار الحرية للطباعة في بغداد عام ١٩٧٤، ضمن منشورات وزارة الإعلام العراقية.

وقد نقلت قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" إلى المسرح عام ١٩٨٧. ويعد الوطار بذلك "أول كاتب جزائري باللغة الوطنية ينقل أحد أعماله إلى المسرح" [٨٦] .

كتب الطاهر وطار مسرحيتين:

-الأولى بعنوان على الضفة الأخرى وقد صدرت، كما يورد بوشوشه، عام ١٩٥٨ [٨٧] .

-الثانية بعنوان الهارب وهي مسرحية من أربعة فصول نشرت في مجلة الفكر في تونس عام ١٩٦١ [٨٨] وصدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر في

---

٨٤. راجع، الطعنات، ص، ٧٢ و ١٩٤.

٨٥. وطار، الطاهر، رمانة ، ص، ٥ ، وسنشير إليها لاحقاً بـــ رمانة .

٨٦. الشعب ، ١١ مارس ١٩٨٧.

٨٧. لم يتسن لنا رؤية هذه المسرحية، الا أن ذكرها ورد في كتاب بوشوشه، بن جمعة، ص، ٢١٤.

٨٨. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧١.

العام ١٩٦٩ *.

كما كتب الطاهر وطار حتى تاريخه تسع روايات ، لم ينشر منها سوى ثمانٍ لأن روايته الأولى لم تحظ برضاه واعتبرها رواية عاطفية لا تستحق النشر[٨٩] .

بعد هذه المحاولة الفاشلة مع الرواية بدأ الوطار يتحضر لكتابة رواية اللاز. يقول: "كنت أمام امتحان مع نفسي وقدراتي الإبداعية... في مرحلة اللاز الأدبية، كنت قرأت معظم مؤلفات القصاصين والروائيين العرب المعروفين جيداً... لقد قرأت محفوظ، والحكيم، وطه حسين، ويوسف إدريس، وسهيل إدريس والأدب التونسي، ومعظم ما وصل إلى يدي من الأدبين الفرنسي والروسي.. بعد هذه القراءات المكثفة، رحت أكتب الرواية والقصة وفي ذهني ما أطمح إليه من حضور." [٩٠]

بدأ الطاهر وطار التفكير برواية اللاز في شهر أيلول ١٩٥٨، بعد الإعلان عن التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وشرع في كتابتها في شهر أيار ١٩٦٥، بعد تراكم الخلافات والمشاكل داخل صفوف جبهة الحرير الوطني. وقد استغرقت كتابتها سبع سنوات (١٩٦٥ – ١٩٧٢) [٩١] .

---

* ورد في كتاب مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة لـ"بوشوشة ، بن جمعه"، ص، ٢١٤ ، أن مسرحية الهارب قد صدرت أولا عام ١٩٦٠، والصائب أنها صدرت عام ١٩٦١ لأن الكاتب انهى كتابتها في تونس عام ١٩٦١ كما هو وارد في نهاية المسرحية (وطار، الطاهر، الهارب ، ص، ١١٩).

٨٩. راجع،حميد، حسن، إلى الأمام ،ص، ٤٢.

٩٠. حميد، حسن، إلى الأمام، ص،. ٤٢.

٩١. راجع، اللاز ، ص، ٧ و ٨ .

صدرت اللاز عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر عام ١٩٧٤ في الذكرى العشرين للثورة، كما صدرت أيضاً عن دار صلاح الدين في فلسطين عام ١٩٧٧ [٩٢]. وهي الرواية الأولى للوطار من حيث الكتابة ولكنها الثانية من حيث النشر اذ سبقتها في النشر رواية الزلزال [٩٣].

تتناول اللاز الصراع بين الفرنسيين والثوار الجزائريين. كما تصور الخلافات داخل الثورة وتصفية المجاهدين بعضهم لبعض تبعاً لمصالحهم. فهي تعتبر من الروايات الجريئة التي بحثت في عمق الثورة.

أما رواية الطاهر وطار الثانية ، الزلزال، فقد اتم كتابتها في ١٣ أيلول ١٩٧٣[٩٤]. وقد صدرت عن الشركة الوطنية للتوزيع والنشر في الجزائر عام ١٩٧٤، كما صدرت عن دار العلم للملايين في بيروت في العام نفسه. وهي تتناول موضوع الثورة الزراعية وتتمحور حول شخصية الإقطاعي "الشيخ عبد المجيد بو الأرواح"، فتبرز انتهازيته وتلقي الضوء على خلفية رفضه لتطبيق مشروع الثورة الزراعية.

رواية الطاهر وطار الثالثة، هي رواية عرس بغل التي انهى كتابتها في ١٩٧٥/٩/١٢ وصدرت عن دار ابن رشد في بيروت عام ١٩٧٨. كما صدرت في

---

٩٢. راجع، كامبل، روبرت، ص ١٣٧٣.

٩٣. راجع، وهبي، ج.ع.، "اللاز هذه الرواية"،صحيفة النصر ،١٩ اكتوبر ١٩٧٤، وسنشير اليها لاحقا بـ وهبي، ج.ع.، النصر .

٩٤. وطار، الطاهر، الزلزال، ص ، ٢٢٤، وسنشير اليها لاحقا بـ الزلزال.

طبعتها الثانية عن الشركة الوطنية للتوزيع والنشر في الجزائر عام ١٩٨٢[٩٥] . وهي تصور حياة المومسات داخل الماخور، وتذهب إلى أن الحل الوحيد من أجل إلغاء الفساد في الجزائر كما ترمز اليه المومسات، يكمن في تحقيق نظام اشتراكي عادل أو في "قرمطة المجتمع" على حد تعبير الوطار في الرواية، إستيحاء لاشتراكية القرامطة في التراث العربي.

رواية الطاهر وطار الرابعة، هي رواية الحوات والقصر التي أنهى كتابتها في سد غريب في تموز ١٩٧٤[٩٦] . وقد نشرت على حلقات في جريدة الشعب الجزائرية في منتصف السبعينات [٩٧] . كما صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر، في طبعة أولى، عام ١٩٨٠ [٩٨]، وفي طبعة ثانية، عام ١٩٨٤، ويذهب اسماعيل غموقات إلى القول في المجاهد بأن دار البعث للطباعة والنشر في قسنطينة قد أصدرت الرواية في العام ١٩٨٠ [٩٩] .

وتتحدث الرواية عن حوات* طيب يدعى علي، أراد أن يقدم للسلطان أجمل سمكة

---

٩٥. راجع، كامبل ، روبرت، ص، ١٣٧٣.

٩٦. راجع، وطار، الطاهر، الحوات والقصر، ص، ٢٦٨ وسنشير إليها لاحقاً بـــ الحوات والقصر.

٩٧. راجع، غموقات، اسماعيل، "الطاهر وطار: الحوات والقصر"،مجلة المجاهد، ٣٠ أيار ١٩٨٠، ص، ٤٣ وسنشير إليها لاحقاً بـــ "غموقات، اسماعيل".

٩٨. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٣ .

٩٩. راجع، غموقات، اسماعيل، ص، ٤٣.

* حوات كلمة مغربية تعني صياد السمك.

يصطادها، احتفاء بنجاة هذا الأخير من محاولة اغتيال. ويقرر علي الحوات أن يمر بالقرى السبع التي تفصله عن القصر. فيتعرف بالتالي على أهالي السلطنة ويقف شاهدا على ظلم القصر للرعية. وتنتهي الرواية بإسقاط السلطان الجائر وتنصيب على الحوات ملكا مكانه.

أما الرواية الخامسة، فقد انتهى الطاهر وطار من كتابتها في ١ آب ١٩٧٨ [١٠٠]. وهي تعد، تسلسلا، الإنتاج الأدبي العاشر له. يتحدث الوطار عن الرواية لـــ الجمهورية، فيقول: "مولودي العاشر هو عبارة عن رواية جديدة تعتبر تكملة لرواية اللاز. أما الإسم فما زلت لم أحدده بالضبط كل ما هناك أنني استطيع القول بأنه يوجد حتى الآن إسمان هما: "جميلة ديالنا" أو "اللاز فاق" " [١٠١].

إلا أن الوطار عاد فأطلق على روايته إسماً مغايراً هو العشق والموت في الزمن الحراشي. وقد صدرت عن دار ابن رشد في بيروت في طبعة أولى عام ١٩٨٠ [١٠٢] وفي طبعة ثانية عام ١٩٨٣.وهي تتناول موضوع الثورة الزراعية وتصور كفاح الطلبة المتطوعين من أجل إنجاز هذا المشروع. كما تبحث في خلفيات الصراع داخل الجسم الطلابي، وتبرز الوجه الانتهازي للطلبة الأصوليين الذين يحاولون عبثاً إجهاض مشروع

---

١٠٠. راجع، العشق والموت، ص ،٢١٩.

١٠١. بن عبد الله، بلقاسم، "لقاء صدفة. مع الطاهر وطار "جميلة ديالنا" أو "اللاز فاق" "، صحيفة الجمهورية، ١٠ آب ١٩٧٨، وسنشير إليها لاحقاً بـــ بن عبد الله، بلقاسم، الجمهورية.

١٠٢. راجع، كامبل، روبرت، ص، ١٣٧٣.

الثورة الزراعية. ويضع الوطار نهاية سعيدة للرواية ، فيحتم القضاء على الأصوليين وانتصار المنادين بالثورة.

رمانه، هي رواية الطاهر وطار السادسة، وقد أنجز كتابتها في كانون الثاني ١٩٦٩ [١٠٣] ، وظهرت لأول مرة عام ١٩٧٠ ضمن مجموعته القصصية الطعنات. ذلك أن ظروف النشر الصعبة في الستينات والسبعينات فرضت على الكاتب، على حد قوله، "أن يعمد إلى جمع أقصى حجم ممكن من كتاباته في كتاب واحد، ليتيح للناس الإطلاع عنها، لأنه متأكد أن فرصة صدور كتاب آخر له نادرة جداً، ولربما لن تتكرر مرة أخرى." [١٠٤] إلا أن الوطار عاد فنشر رمانة في كتاب مستقل عام ١٩٨١، صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر.

وتدور الرواية حول شخصية فتاة تدعى "رمانة"، قذفها فقرها إلى ممارسة البغاء، إلى أن التقت برجل علّمها القراءة والكتابة وأخبرها وهو يعيد إليها إنسانيتها أن تلك هي طريقته في إحلال العدالة الاجتماعية.

أما الرواية السابعة فهي رواية تجربة في العشق التي أنجز الطاهر وطار كتابتها في الجزائر عام ١٩٨٨. وصدرت في طبعتها الأولى في نيقوسيا / قبرص عام ١٩٨٩ عن مؤسسة عيبال للدراسات والنشر. كما صدرت عن دار الاجتهاد في الجزائر في العام نفسه. وتصور الرواية حالة الجنون لدى مناضل شيوعي، يعيش الخيبة نتيجة فشل تطبيق

---

١٠٣. راجع، رمانة، ص،٩٠ .

١٠٤. رمانة، ص، ٥.

الشيوعية في الجزائر. فهو لا يزال يؤمن بأفكاره السابقة، لكنه في الوقت عينه يعمل مستشارا في وزارة تعتبر الشيوعية من ألد أعدائها، وتطالبه بإبداء رأيه في كيفية ملاحقة رفاق الأمس.

الرواية الأخيرة للوطار هي رواية الشمعة والدهاليز التي أنجز كتابتها في شاطىء بن حسين في الجزائر، في نهار الثلاثاء الواقع فيه ١٦ آب ١٩٩٤. وقد بدأت في الظهور، كما ورد في المجاهد التي تصدر بالفرنسية، بشكل حلقات في جريدة أخبار الأدب المصرية[١٠٥] ثم صدرت مستقلة عن مؤسسة الهلال (في القاهرة) في ديسمبر ١٩٩٥– العدد ٥٦٤. كما صدرت عن منشورات التبيين – الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، في الجزائر عام ١٩٩٥. وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٩٦. نشير هنا إلى أن الرواية لم تجد ناشرا في الجزائر حين صدورها[١٠٦] ولم تعثر على واحد حتى تاريخ كتابة هذه السطور.

تبحث الرواية في خلفية ظاهرة الأصولية في الجزائر، من خلال شخصية شاعر ماركسي، يقف موقف المحلل تجاه التغييرات على الساحة السياسية.

نلاحظ من خلال ما أوردناه أن الطاهر وطار قد توقف عن الكتابة قرابة عشر سنوات، وهي المرحلة الممتدة من تاريخ انتهائه من كتابة رواية العشق والموت في الزمن

---

١٠٥. " Taher Ouattar", El-Moudjahid, Journal quotidien du 26 Septembre 1994.

١٠٦. راجع، "الطاهر وطار يسبل خرجة إعلامية متميزة وروايته الأخيرة تنتظر الإخراج"، صحيفة السلام، العدد ١١١٢.

الحراشي، في ٢ آب ١٩٧٨، إلى التاريخ الذي أنجز فيه رواية تجربة في العشق في عام ١٩٨٨. وهو يتحدث عن أسباب توقفه عن الكتابة طيلة هذه الفترة، فيقول لـــ الثقافة الجديدة: "منذ وفاة بومدين لم أكتب شيئا. وأسباب ذلك هي:

أولا: أن الأفق الجزائري في عهد بومدين كان واضحا، وكان من الممكن تحديد الموقف من ذلك العهد سلبا أو إيجابا، وبدرجات متفاوتة.

ثانيا: لأن بومدين، رغم كل شيء ، كان محاوراً كفوءا.

ثالثا: وهذا شيء طبيعي، لأن الأديب الصادق هو أداة دقيقة لعكس الرأي العام الوطني. أنا احتاج إلى صدمة ما تعيدني إلى واقع بلدي الطبيعي"[١٠٧] .

إن التحولات التي طرأت على الساحة السياسية في الجزائر بعد وفاة بومدين جعلت الطاهر وطار يحجم عن الكتابة طيلة عشر سنوات. فقد بدأت الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد تتحول تدريجيا عن النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي. كما دأبت السلطات على ملاحقة الشيوعيين وإجهاض مخططاتهم. ونحن سوف نبحث هذه المرحلة من كتابات الوطار في فصل لاحق.

ترجمت روايات الطاهر وطار إلى لغات عديدة في الاتحاد السوفياتي. ويزعم بعضهم أن رواية اللاز هي أول عمل عربي صدر باللغة الروسية في ست طبعات[١٠٨] إلا أن الوطار يجد أن هذه الترجمات لا تلحق به صفة العالمية. يقول:

---

١٠٧. الثقافة الجديدة ، ص، ١٥٨.

١٠٨. راجع،حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٥٢ .

"العالمية بالنسبة إلي، ليست الترجمة في أحد بلدان أوروبا الغربية، على ما لذلك من بريق ولمعان بالنسبة إلى البعض. ولكن الترجمة إلى الفرنسية، وفي فرنسا بالذات كانت تعني عندي التحدي." [١٠٩]

فقد صدرت عن دار "Le temps actuel" في فرنسا ترجمة لروايتي اللاز وعرس بغل. ويتحدث الوطار عن هذا الحدث الثقافي لـ إلى الامام: "إنني يوم توقيع العقد مع الناشر، كنت أشعر بأنني ضمن موكب يضم الأمير عبد القادر وابن باديس والهواري بومدين، لنوقع على وثيقة الاستقلال الثقافي للجزائر.. أعمالي هي أول ما يترجم من الإبداع الجزائري العربي في فرنسا... لقد كسرت أنف الفرانكفونية" [١١٠] .

لا يخفي الوطار فرحه بترجمة روايتيه إلى الفرنسية، لا بل يصرح بأنه "فخور بذلك، إلى درجة التبجح" [١١١] .

إلى جانب الفرنسية، ترجم ميلغا فالتر رواية عرس بغل إلى الإلمانية عام ١٩٩١ [١١٢] .

بلغ الطاهر وطار اليوم الرابعة والستين من عمره. وهو يعد، على حد تعبير أحد النقاد الجزائريين، من أغزر الكتاب في الجزائر كتابة وأكثرهم في بذل المجهودات من

---

١٠٩. حميد، حسن،إلى الأمام، ص، ٥٢.

١١٠. حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٥٣.

١١١. حميد، حسن، إلى الأمام، ص، ٥٣.

١١٢. راجع، "عرس بغل" ، مجلة فكر وفن، ١٩٩٥.

أجل إثراء حقل الأدب الجزائري الحديث والعمل على تطويره. [١١٣]

لقد انقطع الوطار عن الكتابة، منذ صدور روايته الشمعة والدهاليز عام ١٩٩٥، فلم يظهر له أي عمل روائي أو قصصي أو مسرحي خلال السنوات الخمس الأخيرة. ومرد هذا الانقطاع في رأينا، هو اضطراب الوضع الأمني والسياسي في الجزائر في وقتنا الحاضر، وعدم قدرة الوطار في ظل هذه الاحوال على تمثل برنامج سياسي مستقبلي لبلاده. فالشيوعية والاشتراكية والثورة الزراعية التي دعا إليها الكاتب في رواياته، هي مضامين سياسية واجتماعية طوتها الجزائر منذ عشرين عاما ، والبلاد تغرق منذ انتخابات ١٩٩٢ في بحر من العنف والإرهاب.

لقد بحث الطاهر وطار في أسباب أزمة الأصولية في الجزائر في روايته الأخيرة، ولم يقدم بعدها أي عمل أدبي، لان العمل التالي لا بد أن يتضمن في رأينا نبوءة أو حلا. لعل ما يلخص وضع الوطار حاليا، هو قوله في مقدمة رواية الشمعة والدهاليز عام ١٩٩٤: "ها أنني لا استطيع لحاق ما يجري في الجزائر" [١١٤].

---

١١٣. راجع ، وهبي، ج. ع. ، النصر.

١١٤. وطار ، الطاهر، الشمعة والدهاليز، ص، ٧، وسنشير إليها لاحقا بـــ الشمعة والدهاليز.

الفصل الثالث

ثورة المناضل الشيوعي الجزائري في رواية اللاز

نشأت في الجزائر، إبان الاحتلال الفرنسي، أحزاب سياسية كثيرة ذات اتجاهات عقائدية مختلفة، اتفقت فيما بينها على ضرورة تغيير الواقع، لكنها اختلفت في طرحها للبديل. ويحصر أحد الباحثينِ في الشأن الجزائري طروحات الأحزاب السياسية الجزائرية في ثلاثة بدائل، هي:

أولاً: الدعوة إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين.

ثانياً: الدعوة إلى الاستقلال الكامل عن فرنسا.

ثالثاً: الدعوة إلى تحقيق استقلال جزائري متصل بفرنسا عن طريق اتحاد فيدرالي [١١٥].

هذا الاختلاف الجوهري في الطروحات الذي شهدته الساحة السياسية في الجزائر لم يستمر طويلا. ذلك أن واقع الاحتلال، على حد قول الدكتورة نور سلمان، زاد التقارب بين الميول الوطنية. فمن كان يدعو إلى تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، كحزب نجم أفريقيا الشمالية، تأكد له استحالة تحقيق هذا الهدف، فصار يطالب بالاستقلال الكامل للجزائر [١١٦].

---

١١٥. راجع بشأن الأحزاب السياسية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، ملخصاً في سلمان، نور، ص، ١٣٨ إلى ١٤٧ .

١١٦. راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٤.

لقد شهدت ثورة التحرير، على حد قول الدكتورة سلمان، تعاون الرافضين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بما فيهم المحافظون والسلفيون والشيوعيون [١١٧] .

وحددت الثورة أهدافها، كما هو وارد في كتاب الجزائر الى أين، بالنقاط التالية:

أ- الاستقلال

ب- تدويل القضية الجزائرية

ج- الارتباط بحركة النضال العربي [١١٨].

أيّد الطاهر وطار أثناء ثورة التحرير، الحزب الشيوعي الجزائري ومبادئ الفكر الاشتراكي، كما يتضح لنا من خلال:

أولاً: شخصية "زيدان" في رواية اللاز.

ثانياً: شخصية "الحاج كيان" في رواية عرس بغل.

ثالثاً: شخصية الشاب المتنكر في زي بدوي في رواية رمانة.

رابعاً: رحلة "علي الحوات" نحو القصر في رواية الحوات والقصر.

ولما كانت اللاز أولى روايات الطاهر وطار وأكثرها شيوعا وجرأة في تناول موضوع الثورة الجزائرية، بحيث انها تصور الصراعات الداخلية والتصفيات بين الثوار، ولما كان عدد كبير من الكتب النقدية ومن المقالات في الصحف والمجلات قد تناول هذه الرواية بالبحث والتحليل، فقد رأينا أن نفرد لها الفصل الثالث بكامله، تاركين للروايات

---

١١٧. راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٦.

١١٨. راجع، الجزائر إلى أين، ص، ١٢١.

الثلاث الأخرى المنتمية الى المرحلة الفكرية نفسها فصلا لاحقا.

اللاز:

يفتتح الطاهر وطار رواية اللاز، التي صدرت في الجزائر عام ١٩٧٤، بمشهد أناسٍ يقفون في صف طويل أمام مكتب المنح، ليقبضوا ما خصص لهم من دريهمات، وينتهزوا الفرصة ليتذكروا شهداءهم. يقول الشيخ الربيعي، والد الشهيد قدور، في نفسه:

"إنهم كعادتهم، كلما تجمعوا في الصف الطويل، أمام مكتب المنح، لا يتحدثون إلا عن شهدائهم. والحق أنه ليس هناك غير هذه الفرصة لتذكرهم، والترحم على أرواحهم، والتغني بمفاخرهم. فهم ككل ماض يسيرون إلى الخلف ونحن ككل حاضر نسير إلى الأمام. لعل هذا اليأس المطبق من التقاء الزمنين ما يجعلنا لا نهتم إلا بأنفسنا. أنانيين نرضى أن يتحول شهداؤنا الأعزاء إلى مجرد بطاقات في جيوبنا، نستظهرها أمام مكتب المنح، مرة كل ثلاثة أشهر ثم نطويها مع دريهمات في انتظار المنحة القادمة"[١١٩] .

بمثل هذه المرارة، يبدأ الوطار روايته، مهيئا الجو المناسب "للشيخ الربيعي" كي يطلق العنان لمخيلته ويستذكر أحداث الثورة وأبطالها. يقول الوطار على لسان الراوي:

"استند [الشيخ الربيعي] إلى الجدار، وأطلق العنان لمخيلته، تتحسس الجرح، شيء عشناه.. وشيء سمعناه.. وشيء نتخيله".[١٢٠]

---

١١٩. اللاز ، ص، ٩.

١٢٠. اللاز، ص، ١٠ .

تقوم رواية اللاز على محورين: تصوير الصراع الخارجي بين الشعب الجزائري والاحتلال الفرنسي، والصراع الداخلي بين المقاتلين الجزائريين نتيجة اختلافاتهم العقائدية والفكرية.

تصور الرواية بطلا لقيطا هو "اللاز"*، يتبنى الثورة بالفطرة نتيجة القهر الطبقي والاجتماعي الذي عانى منه طويلا.هو ابن غير شرعي "لزيدان"، أحد أفراد الحزب الشيوعي الجزائري، وقد أفضى إليه "اللاز" مرة برغبته في الانضمام إلى صفوف المجاهدين، أملا في اكتساب صفة جديدة هي صفة "المجاهد" تمحو عنه صفة "اللقيط". يقول "لزيدان":"أريد أن أتخلص من اللاز ولد مريانة". [١٢١]

يطرح الطاهر وطار أيضا في الرواية ، المعطيات التي تنطلق منها طبقة البروليتاريا والطبقة الميسورة، في تبينهما للثورة الجزائرية، من خلال شخصية "حمو" عامل الفرن البسيط ، شقيق "زيدان"، ومن خلال شخصية "قدور" ابن الشيخ الربيعي صاحب المحلات التجارية.

---

* يقدم الطاهر وطار في الرواية معاني اسم "اللاز" على لسان ضابط فرنسي، إذ يقول: "في القديم كان يطلق على الجزء الأدنى من العملة النقدية، والآن يطلق على العدد المفرد في أوراق اللعب (أي القص). وبينما هو في الحجر (أي الزهر) يمثل أدنى رقم، الرقم الأول في العدد، مجاورا للبياض، يمثل في البيلوط (لعبة من ألعاب الورق) الرقم الأعلى.. الوحيد في البيلوط الذي يحتفظ بقيمته مهما تغير اللون المنتخب. المعنى المجازي "للاز" هو البطل، في غير لغة قومه، أما عندهم فإنه اللقيط أوكل أعور يتشاءم منه" (اللاز، ص، ١٣٠) ونحن إذانا نأخذ على الوطار إقحامه هذا التعريف بطريقة تقريرية على لسان ضابط فرنسي، فإننا نجد في المعنى الأخير الذي يورده تأكيداللطبيعة الازدواجية التي يحملها "اللاز". فهو البطل واللقيط في آن واحد.

١٢١. اللاز، ص، ٦٣ .

كما يقدم الوطار من خلال شخصية "بعطوش"، نموذجا عن الجزائري الذي خان الثورة في مطلع أمرها وعبث بالقيمين عليها، وتواطأ مع قوات الاحتلال إلى الحد الذي لم يتوان فيه عن اغتصاب خالته تلبية لأمر أحد الضباط الفرنسيين. إلا أن ضميره الوطني عاد فصحا، فأضرم النار بالمعسكر الفرنسي معلنا عن انتمائه إلى حركة التحرير الوطنية.

ويضع الوطار، في فصول الرواية الأخيرة، "زيدان" وخمس شخصيات شيوعية أخرى من جنسيات أجنبية مختلفة في مواجهة مع "الشيخ" ممثل الاتجاه الإسلامي المحافظ في الثورة الجزائرية. يتأتى عن هذه المواجهة ذبح الشيوعيين جميعا على يد الشيخ، لأنهم رفضوا التخلي عن الحزب الشيوعي.

يقف "اللاز" شاهدا على ذبح أبيه "زيدان". ويظل بعد هذه المجزرة يدور في القرى مبشرا بالحق الذي لا بد أن يحل يوما، مرددا لازمته "ما يبقى في الوادي غير حجاره". ويعود "اللاز" فيظهر مجددا في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي التي صدرت عام ١٩٨٠.

يمثل "زيدان" في رواية اللاز، نموذج المناضل وعضو الحزب الشيوعي الجزائري الذي تلقى مبادئ الشيوعية في موسكو وشارك في الثورة الجزائرية منذ اندلاعها في نوفمبر ١٩٥٤. إلا أن مشاركته في الثورة ليست مشاركة عادية بل تحمل رموزا غنيّة، نستطيع أن نتبينها إذا تعرفنا على الموقف السياسي الذي اتخذه الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة إثر اندلاعها.

فقد حدث في عام ١٩٥٤، على ما أورده فاروق عبد القادر في مقال له في الطليعة، أن

عارض الحزب الشيوعي الفرنسي الثورة الجزائرية. فما كان من الحزب الشيوعي الجزائري* إلا أن أيّد موقف الحزب "الأم"** وأعلن إدانته للثورة، واعتبرها عملا من أعمال الإرهاب، كما أمر أعضاءه بعدم حمل السلاح.[١٢٢]

من هنا نستنتج أن "زيدان" قد شارك في الثورة على الرغم من الأوامر التي وجّهها إليه حزبه بعدم حمل السلاح. يقول في شكل مونولوج داخلي:"التحقت بالثورة. لم أستشر أحدا. لا الحزب ولا غيره. أوجبت الظروف المحيطة بي ذلك ففعلت. وإذا ما سئلت هل انسلخت عن حزبي، فسأجيب فورا بالنفي. وإذا ما طلب مني ذلك سأظل أسأل عن الدوافع. لن أنسلخ ولن أدفع الاشتراك. ولن أسعى لتكوين خلايا جديدة. وسأظل أكافح من أجل الاستقلال الوطني".[١٢٣]

لم يتخل "زيدان" عن مبادئه الشيوعية التي تلقاها في موسكو[١٢٤]، لأن الشيوعية،

---

* علقت جبهة التحرير الوطنية على موقف الحزب الشيوعي الجزائري بقولها: "إن القيادة الشيوعية البيروقراطية قد عجزت عن تحليل الموقف الثوري تحليلاً صحيحاً، ولهذا السبب فقد شجبت الإرهاب وأصدرت الأوامر – منذ الأشهر الأولى للثورة– للمناضلين الشيوعيين في منطقة الأوراس الذين قدموا مدينة الجزائر لطلب التوجيهات، أصدرت إليهم الأوامر بعدم حمل السلاح" (عبد القادر، فاروق، "اللاز رواية الإنسان في الثورة"،مجلة الطليعة، السنة الثانية عشرة، يناير ١٩٧٦، ص، ١٧٤، وسنشير إليها لاحقاً بـــ عبد القادر، فاروق، الطليعة).نشير هنا إلى أن الحزب الشيوعي الجزائري عاد فشارك في الثورة لاحقاً (راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٣).

** كان الحزب الشيوعي الجزائري فرعا من الحزب الشيوعي الفرنسي، انشيء بعد الحرب العالمية الاولى واصبح حزبا جزائريا مستقلا سنة ١٩٣٥ (راجع، سلمان، نور، ص، ١٤٢).

١٢٢. راجع عبد القادر، فاروق، الطليعة، ص، ١٧٤ .

١٢٣. اللاز، ص، ٢٠٣ .

١٢٤ . راجع، اللاز، ص، ٨٤ .

على حد تعبيره "ليست رداء ننزعه في الوقت الذي نشاء"، وإنما هي "عقيدة تقوم أول ما تقوم على الاقتناع المدرك للحياة".[١٢٥] غير أن إيمانه بالشيوعية، لم يحجب عنه إيمانه الوطني، فشارك في الكفاح من أجل استقلال الجزائر.

تأتي ثورة "زيدان"، على ما يبدو، مختلفة عما هو معهود في ثورات المناضلين الجزائريين، ذلك أنها تتفرد في تبني الصراع الطبقي إلى جانب إيمانها بضرورة الاستقلال. "فزيدان" يرى أن للثورة عدوين: عدو خارجي يتمثل في المستعمر الفرنسي، وعدو داخلي يتمثل في الطبقة التي تحالفت مع المستعمر واستغلت الشعب حفاظا على مصالحها الخاصة وهي طبقة الأغنياء والشيوخ. هؤلاء الذين "لا يريدون أن يفهموا إلا أمرا واحدا هو مصلحتهم. مصلحتهم التي تتعارض مع مصالح جميع الناس، بل تقتضي أن لا يكون لأي أحد سواهم مصلحة ما".[١٢٦]

لا يهدف "زيدان" من خلال عمله النضالي إلى تحقيق الاستقلال فحسب، بل يخطط أيضا من أجل القضاء على المستغلين وتحقيق العدالة الاجتماعية في الجزائر. وهو يتأمل من داخل الثورة السنوات التي ستلي الاستقلال، فيرى المجتمع الجزائري وقد سادته طبقة واحدة يتساوى أفرادها في العيش، فلا يعود هنالك أغنياء ولا فقراء، بل رفاق. يقول في نفسه في شكل مونولوج داخلي:"لقد ذهبت بعيدا بعيدا... إلى ما بعد الاستقلال.. قد يطول الكفاح حتى يفتقر الجميع [أي جميع الأغنياء] ولا تبقى في الجزائر إلا طبقة

---

١٢٥. اللاز ، ص، ١٠٥ .

١٢٦. اللاز ، ص، ٤٩ .

واحدة".[١٢٧]

إنه حلم الشيوعي الذي يرى "زيدان" أنه من أجل تحقيقه لا بد لهذه الحركة التحريرية من "أن تتبنى الصراع الطبقي من الآن، وإلا بقيت مجرد حركة تحرر... الخطر كل الخطر أن يحولها الاستعمار لصالحه، فيعلن عن انتهائها، ليخلف الوطن بين أيدي العملاء والصنائع[١٢٨]".

هو يأبى أن تبقى الجزائر بعد استقلالها على ما هي عليه من الفقر والجوع والجهل، ويناضل من داخل الثورة من أجل إلغاء الطبقية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

لقد كافح "زيدان" في صفوف المجاهدين ضد الفرنسيين، إلا أن تحديه لحزبه (الحزب الشيوعي الجزائري) لم يشفع له عند الشيخ "مسعود"، أحد المسؤولين الكبار في جبهة التحرير الوطني وممثل الاتجاه الإسلامي المحافظ في الثورة. وذلك لثلاثة أسباب:

أولا: لأن زيدان ظل متمسكا داخل الثورة بمبادئه الشيوعية.

ثانيا: لأن الشيخ يعتبر الشيوعية أمرا محرما مثل الخمر والزنى والسرقة والخيانة، لا بل يعتبرها محرمة "أكثر من كل هذه المحرمات"[١٢٩] .

ثالثا: لأن "الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري شيء واحد"[١٣٠] في

---

١٢٧. اللاز ، ص، ١٦٢.

١٢٨. اللاز ، ص، ١٦٢.

١٢٩. اللاز، ص،١٠٦.

١٣٠. اللاز، ص، ٢٢٤.

نظر الشيخ، ودخول أعضائهما الثورة يعني تخريبها"[١٣١] .

هذا هو، في الظاهر، موقف الشيخ "مسعود" من الشيوعية. لكنه، في الحقيقة، يذهب في معارضته للشيوعية أبعد من الذريعة الدينية والحزبية. ذلك أن وجود عنصر شيوعي داخل الثورة يهدد مصالح الشيخ قبل الاستقلال وبعده.

إزاء هذا الصراع بين طبقة تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة وإيديولوجية تعمل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، يطبّق الشيخ "مسعود" ما أملي عليه من الخارج*، فيحتجز "زيدان" وخمسة رفاق أجانب شيوعيين ويخيّرهم بين الانسلاخ عن الحزب والذبح، أي بين الموت السياسي الحزبي والموت الجسدي. يقول الشيخ "مسعود" لهم:"اتخذ القرار في شأنكم. بالنسبة لزيدان لا بد من تبرئه من العقيدة وانسلاخه من الحزب وإعلان انضمامه إلى الجبهة . وبالنسبة لكم أنتم [الرفاق الأجانب]، التبرؤ أيضا والدخول في الإسلام" [١٣٢] ..وفي حال عدم الاستجابة لهذه الطلبات، يجزم "الشيخ" أن مصيرهم جميعا سيكون "الذبح [١٣٣] ".

ينفّذ الشيخ "مسعود" قرار المسؤولين الصادر من "الخارج"، فيأمر بذبح "زيدان"

---

١٣١. راجع، اللاز، ص، ٢٢٥.

* يقول منصف بوزفور في مقال له في العالم السياسي، إن الطاهر وطار يشير هنا إلى القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر في القاهرة في شأن تصفية الحزب الشيوعي الجزائري وتصفية أعضائه (بوزفور، منصف، "اللاز"، صحيفة العالم السياسي، ١٤ تشرين الثاني ١٩٩٦).

١٣٢. اللاز ، ص، ٢٢١.

١٣٣. اللاز، ص، ٢٢٢ .

ورفاقه عندما يرفضون إعلان انسلاخهم عن حزبهم.

إلا أن ثمة سؤالا يطرح هنا: هل اقتضى قرار المسؤولين في القاهرة تصفية أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري جميعا: المؤيدين لجبهة التحرير والمناهضين لها على حد سواء؟ أم أن الشيخ قد استغل قرار تصفية الشيوعيين، فطبّقه اعتسافا كي يدرأ عن نفسه خطرا يمكن أن يستمر إلى ما بعد الاستقلال؟ لقد تقرر عند قيام الثورة حلّ جميع الأحزاب، ودخول أعضائها في حزب واحد هو حزب جبهة التحرير الوطني. ونحن إذا كنا نستوعب فكرة تصفية الثورة لمناهضيها، فإننا نجد في قرار تصفية "زيدان" من داخل الثورة، رغبة ذاتية نابعة من الشيخ.

يريد الوطار في رأينا أن يقول ، إن مسؤولي الثورة من أمثال الشيخ "مسعود"، يعمدون إلى تصفية الشيوعيين الثوريين خوفا على مصالحهم وليس خوفا على الثورة.

إن "الشيخ" يطرح الدين كإيديولوجية يحارب بها "زيدان"، لا بل يقوم باسمها بذبحه، الأمر الذي لم يقم به الاستعمار نفسه. فموت "زيدان"، يشكل بالنسبة للشيخ، على حد قول واسيني الأعرج، "ضرورة ملحة أن يتم قبل نهاية الثورة الوطنية، ليتسنى له توجيهها [أي الثورة] كيفما يشاء فيما بعد، يعني غياب الإيديولوجية العلمية عن النشاط الاجتماعي" [١٣٤] .

أما الشخصية الثانية التي نتناولها في دراسة رواية اللاز، فهي شخصية "حمو"، عامل الفرن الفقير، الذي يقضي معظم ساعات يومه في عمله، ساعيا وراء تأمين لقمة

---

١٣٤. واسيني، الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية ، ص، ١٦٩.

العيش لعشرة أفراد من أسرته. إلا أن عمله المضني من الثالثة فجرا إلى الليل، لا يسد حاجة أسرته الكبيرة. يقول "حمو" متذمرا من وضعه المادي الرديء:"أربعون دورو في اليوم وأربعة عشر فما مفتوحة*، الدقيق بعشرين دورو الكيلو والزيت بأربعين، والصابون بخمسة عشر القالب، وزد وزد.. معيشة كلاب والله.." [١٣٥].

إزاء هذه الظروف الحياتية الصعبة، يتخلى عامل الفرن الفقير عن بعض المبادئ العامة التي يحكمها الضمير الإنساني، ويستسهل القيام بأي فعلٍ، سواء كان أخلاقيا أم لا أخلاقي، من شأنه أن يوفّر زيادة في الرزق لأسرته. فيشرع "حمو" في خيانة رب عمله، إذ يستجيب لنزوات بنات صاحب الفرن الثلاث**، ويشبع رغباتهن الجنسية مقابل أن "تغدق عليه، كل واحدة من جانبها العطف والكرم"[١٣٦] و"حين تنجب إحداهن ولدا جميلا"[١٣٧]، يخنقه "حمو" ويرمي به في الفرن.

يذهب الطاهر وطار هنا مذهب الماركسيين، إذ يربط بين تردي الوضع الاقتصادي لدى الفرد وبين ترديه الخلقي. فالتفاوت الطبقي في المجتمعات لا بد أن يؤدي في رأيه إلى حصول انحرافات أخلاقية يمكن أن تصل بالإنسان إلى حد ارتكاب الجرائم.

---

* يبالغ "حمو" حين يقول إن عدد أفراد أسرته الذين يعيلهم هو أربعة عشر، ذلك أن عددهم في الواقع لا يتجاوز العشرة أفراد. وهم: أمه وأخوه زيدان وزوجة أخيه وأبناء أخيه السبعة.

١٣٥. اللاز، ص، ٢٦.

** لصاحب الفرن ثلاث بنات، أرملتان وبكر يتزاحمن على "حمو".

١٣٦. اللاز، ص، ٢٦.

١٣٧. اللاز، ص، ٤٥.

فالوضع الاقتصادي، في رأيه، هو مقياس صلاح المجتمع وفساده.

يضع الوطار مقابل شخصية "حمو" في الرواية، شخصية شاب غني يدعى "قدور". ويجري حوارا بين الشخصيتين، يبيّن من خلاله المعطيات التي ينطلق منها كل من الفقير والميسور في الجزائر، عند اتخاذهما قرار الالتحاق بالثورة.

"فحمو" يرى أن الثورة تأتي نتيجة حتمية للمعاناة التي يعيشها الشعب الجزائري. ذلك "أن الوضع الذي أصبح عليه الناس، من فقر وبؤس وعري وجهل ومرض وظلم وجور، يجبرهم [على حد قوله] على العمل من أجل التخلص منه، وهذا العمل ليس سوى الثورة"[١٣٨].

ينخرط "حمو" في الثورة بدافعٍ من معاناته الطبقية وأملا في التغيير. فثورته إذا لا تهدف إلى تحقيق الاستقلال فحسب، بل تتجاوزه إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. فهو لا يشارك في الثورة من أجل أن يخرج مستعمرا فرنسيا ويبقي على مستغل داخلي يزيد في أجرته بضعة دورو[١٣٩] ، على حد قوله، بل يهدف من وراء عمله الثوري إلى إلغاء الطبقية في الجزائر المستقلة.

يتبنى "حمو" بفطرته فهم "زيدان" الشيوعي للثورة. يقول "حمو": "حاول [زيدان] مرة أن يفهمني، فقال: في الحياة نوعان من الناس، نوع يعرق مثلك، ومثل العمال والعاطلين، ونوع يستفيد من هذا العرق. وما لم يتحطم النوع الثاني، فإن عرق

---

١٣٨. اللاز ، ص، ٤٨.

١٣٩. راجع ، اللاز، ص، ٥٠.

الإنسانية يظل يسيل هدرا. مصلحة كل نوع تتعارض مع مصلحة النوع الآخر. ولهذا فهما عدوان لدودان"[١٤٠].

يوجّه زيدان ثورة "حمو" توجيها شيوعيا، إذ يقدّم له فهما ماركسيا للصراع الأبدي بين طبقة البروليتاريا وطبقة مستغليهم، بأسلوب منطقي متسلسل، يستفز به نقمة الطبقة العاملة، ويحرضها من خلاله على العمل من أجل تطبيق نظام اجتماعي عادل ينصفها.

يتأمل "حمو" في الجزائر "الحلم" في مرحلة ما بعد الاستقلال، فيقول: "يخرج الفرنسيون، ويفقر الأغنياء وينعدمون، ينام جميع الناس على الشبع. نقرأ كلنا"[١٤١].

في حين يشكل القهر الطبقي والإحساس باللاعدالة الاجتماعية الدافع لدى "حمو" للانضمام إلى الثورة، يتدرج "قدور" الغني تدرجا بطيئا في اقتناعه بضرورة الانخراط فيها. فهو يبدأ حواره مع "حمو"، بالتسليم بأن "إخراج الفرنسيين أمر مستبعد جدا جدا"[١٤٢]. ويتساءل لماذا لا يبقى الوضع على ما هو عليه، ويبقى "كل واحد في حاله"[١٤٣] .

يعبّر "قدور" عن موقفٍ مصلحي، غير مبالٍ بمعاناة الشعب الجزائري. ذلك أن وجود الفرنسيين لا يلحق به ضررا، كما أن إخراجهم لا يضيف شيئا إلى حياة الرخاء

---

١٤٠. اللاز، ص، ١٠٧.

١٤١. اللاز، ص، ٤٣.

١٤٢. اللاز،ص، ٤٥.

١٤٣. اللاز، ص ،٤٥.

التي يعيشها. إلا أنه يجد نفسه، مع اندلاع الثورة، مخيرا بين أحد أمرين: إما التعامل مع الفرنسيين أو الانخراط في الثورة. "فالحرب تعم يوما بعد يوم، وفرنسا يقوى تكالبها يوما فيوما، ولا أحد يستطيع أن يظل محايدا لأن الحياد بحد ذاته تحيز للعدو"[١٤٤].

وفي محاولة لاتخاذ القرار، يتوصل "قدور" إلى المعادلة التي تقول: "رغم أنه لا فائدة من الالتحاق بالثورة، فإن الالتحاق بفرنسا فيه خسارة"[١٤٥]، تتمثل في إدراج اسمه ضمن لائحة الخونة.

لم ينخرط "قدور" في العمل الثوري بدافع من معاناته أو سعيا وراء تحقيق حياة أفضل، بل لأنه لم يجد منطقة محايدة يقف عليها. وهو يقيس ضرورة التحاقه بالثورة بمقياس ذاتي، يتأرجح بين الخسارة والربح، ولا يقيم للمصلحة العامة وزنا، لقد وجد "قدور" نفسه مجبرا على الالتحاق بالثورة، ففعل.

إن المعطيات التي ينطلق منها "قدور" في اتخاذه قرار الالتحاق بالثورة، تختلف عن تلك التي ينطلق منها "حمو"، نظرا لإختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بكل منهما. لذا نجد أننا متفقون مع عبد الرزاق عيد الذي يقول إن الوطار يحلل شخصياته سيكولوجيا وفقا لطبيعة انتمائها الطبقي، ويرسم اللوحات النفسية لبطله من

---

١٤٤. اللاز ،ص، ٤٩.

١٤٥. اللاز ،ص، ٥٠.

صدى الطبقة التي ينحدر منها[١٤٦] . فـ"قدور" يتردد في اتخاذه قرار الانخراط في الثورة، في حين يكون "حمو" غارقا في عمله الثوري. يقول "حمو" لـ"قدور":"يا ابن عمي في حين أنا غاطس.. أنت متردد[١٤٧] " .

أما الشخصية الأخيرة في دراستنا لرواية اللاز، فهي شخصية "اللاز" نفسه. يتدرج "اللاز" في ثورته من حالة التمرد والسخط على الشعب، إلى حالة النضال داخل الحزب الشيوعي الجزائري من أجل الشعب.

يظهر "اللاز" أول الأمر، على حد قول عبد الفتاح عثمان، "في صورة قبيحة منفرة في بعدها الأخلاقي والجسدي"[١٤٨] . فهو اللقيط الذي يفجر سخطه على محيطه بدافع من معاناته الطبقية والاجتماعية. يصفه الوطار بلسان الراوي، فيقول: "برز إلى الحياة يحمل كل الشرور. مكابر، معاند، وقح، متعنت، لا ينهزم في معركة وإن استمرت عدة أيام، يضربه المرء حتى يعتقد أنه قتله، لكن ما إن يبتعد عنه حتى ينهض يسرع إلى الحجارة أو يرتمي على خصمه، وإن فاته ذلك في نفس اللحظة واليوم، أعاد الكرة مرة ومرات"[١٤٩].

---

١٤٦. راجع، عيد، عبد الرازق، "شخصيات اللاز والبعد السيكولوجي"، مجلة المجاهد، العدد ٧٥٩ ، ٢ آذار ١٩٧٥، ص، ٢٨.

١٤٧. اللاز، ص، ٥٠.

١٤٨. عثمان، عبد الفتاح، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع، ص، ٢١، وسنشير إليه لاحقاً بـ "عثمان، عبد الفتاح".

١٤٩. اللاز ، ص، ١٢.

يبدأ "اللاز"، على حد تعبير جودت الركابي، "مناضلا طائشا"[١٥٠] ، وتبدأ ثورته عشوائية غير منظمة. فهو يمثل الشعب الجزائري البسيط والأمي في مرحلة إعداده للثورة.

ويجري الوطار مقابلة بين حالة التحدي التي يعبّر عنها "اللاز" وحالة التحدي التي يحملها "زيدان" الشيوعي في أعماقه، فيجد أنهما سيّان. فالجزائري البسيط يتوصل، بحكم معاناته الطبقية والاجتماعية، إلى الإقرار بضرورة الخروج إلى حالة التحدي، في حين أن الجزائري، الذي تلقى مبادئ الشيوعية في موسكو، يتوصل إلى القرار عينه، تبعا للنظم العلمية التي اكتسبها، غير أنه يعبر عن التحدي بأسلوب مغاير.

يقول "زيدان" لـــ "اللاز":"أما ما تقوم به من التحدي بالضجيج والصخب، فإنني أقوم به بدوري في صمت ومخاتلة"[١٥١] .

"اللاز"، الابن غير الشرعي لـــ "زيدان" الأحمر، "مدرك بغريزته"[١٥٢] وأحمر بفطرته. يقول "اللاز" في شكل مونولوج داخلي متسائلا في أمر "زيدان" :"ترى لماذا هو أحمر؟ ألأنه يشتغل بالسياسة، ويحقد على الأغنياء. إذن فأنا بدوري أحمر.. رغم عدم معرفتي للسياسة، فإنني أبغض الأغنياء وأبناءهم المأفوفين وبناتهم العاهرات"[١٥٣] .

---

١٥٠. الركابي، جودت،"قصة اللاز للطاهر وطار. دراسة تحليلية"، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد ٣٣، عام ١٩٧٦، ص، ٨٨، وسنشير إليها لاحقاً بـــ الركابي ، جودت، الثقافة الجزائرية.

١٥١. اللاز، ص، ٦٧.

١٥٢. اللاز، ص، ١٦٤.

١٥٣. اللاز، ص، ٩٧.

يجعل الوطار "اللاز"، ابنا غير شرعي لــ"زيدان"، مما يدل أن الثورة في الجزائر قد اكتسبت روح الشيوعية بالقوة، إلا أنها ولدت لقيطة لأن أصولها غريبة عن التراث الجزائري.

إلا أن "اللاز" على الرغم من عدم شرعيته، هو "ابن لجميع الناس"[١٥٤]، لأنه ابن معاناتهم وإحساسهم بالقهر الطبقي. هو يمثل الشعب في تدرجه من التمرد إلى العمل المسلح، كما يرمز إلى الثورة التي بدأت منبوذة غير شرعية. في رأينا هو الشعب والثورة معا ، لذا نجده قد "آمن بها [أي الثورة] بسرعة كالشعب، لأنها كانت منه، فيضا منه"[١٥٥] .

يقول الطاهر وطار عن شخصية "اللاز" في الرواية: "هو رمز للشعب الجزائري بالذات وربما إلى مختلف الشعوب، والشعب الجزائري في القسم الأول، وبالأصح في مرحلة أحداث الكتاب الأول* هو شعب حمل السلاح وصنع حركة وأنجز فيها الموت والدم والميلاد، وحياة فيها تخريب وتهديم، فيها حركة الحياة المصطدمة بجيش كبير، الجيش الفرنسي بحضارته وآلته، فهذا اللاز عبّر عن هذا الشعب الجزائري

---

١٥٤. اللاز، ص، ١٠٣.

١٥٥. اللاز ، ص، ٢٤٨ .

* يعني الوطار بالكتاب الأول رواية اللاز ، باعتبار أن رواية العشق والموت في الزمن الحراشي هي الكتاب الثاني لـــ اللاز .

في هذه المرحلة بالذات[١٥٦]".

ونحن إذا كنا، من خلال دراستنا للرواية، نوافق الوطار في رأيه، فإننا نرى في الوقت عينه أن الكاتب يريد أن يقول، من خلال شخصية "اللاز"، أن جذور الثورة الجزائرية تعود إلى الحزب الشيوعي الجزائري. فالحزب هو القيم، في رأيه، على الثورة من قبل أن تولد. وهو الذي حضنها في تدرجها من مجرد حركة تمرد إلى حركة تحريرية مسلحة.

يهدي الطاهر وطار روايته اللاز:"إلى ذكرى جميع الشهداء.." وإذا كان تعبير "جميع الشهداء" يبدو للوهلة الأولى عاديا فإنه يكتسب بعد قراءتنا للرواية بعدا رمزيا.

فاللاز تشير إلى نوعين من الشهداء: نوع أول استشهد على يد المحتل الفرنسي.

ونوع ثانٍ استشهد على أيدي رفاق السلاح الجزائريين في فترة النضال ضد الفرنسيين.

يحمل إهداء الوطار في ثناياه، المرارة التي يشعر بها الكاتب حيال التصفيات داخل الثورة. وهو حين يتحدث عن موضوع الرواية، يقول في حوار أجرته معه مجلة المجاهد الجزائرية:

"الموضوع يتناول الثورة التحريرية كعمل أعمق من العمليات الفدائية العسكرية، عمل انتماء إنساني كامل في عالم المغامرة وفي عالمٍ مجهول. وهذا ما يعرفه جيدا كل

---

١٥٦. "اللاز"، صحيفة الحرية، ١٩.حزيران ١٩٨٣،ص،٤٧، وسنشير إليها لاحقا بـــ الحرية، ١٩ حزيران ١٩٨٣ .

من عاصر الشعب الجزائري قبل الثورة المسلحة، وثانيا كعمل عقائدي يحاول تسليط الإيديولوجية الثورية، بما في ذلك عوامل الصراع الطبقي والتناقضات الثقافية لدى الأفراد" [١٥٧] .

تذهب رواية اللاز أعمق من تصوير الكفاح المسلح، إلى تحليل الصراعات الإيديولوجية داخل الثورة. فهي تضع شخصية "زيدان" وخمس شخصيات شيوعية أخرى من جنسيات مختلفة، في مواجهةٍ مع الشيخ. وتجسد من خلال "زيدان" رمز التضحية والصراع الطبقي الذي لا ينضب. فهو على الرغم من ذبحه، لم يكن عقيما، بل خلف وراءه ابنه "اللاز"، رمز الشعب، الذي سيظل "يطوف من مركز عسكري لآخر ومن خيمة لاجئ لأخرى، يهتف دون وعي ما يبقى في الوادي غير حجاره "[١٥٨].

نأخذ على الوطار هنا، إقحامه لهذه الشخصيات الشيوعية الخمس. فسياق الرواية لا يستلزم وجود هؤلاء. كما أن حذفهم لا يحدث خللا في تسلسل الأحداث. لكنهم يشكلون دعما للتوجه الشيوعي لدى الكاتب. يصرخ أحد الشيوعيين الأجانب قبل قطع رقبته:"تسقط الإمبريالية.. يسقط الاستعمار.. تسقط الرجعية[١٥٩]" .

إنها صرخة الكاتب، يطلقها في الصفحات الأخيرة من الرواية، في وجه قوى الرجعية التي تستغل الشعب حفاظا على مصالحها الخاصة.

---

١٥٧. بلحسن، عمار، التحليل السيسولوجي للأدب والرواية، ص، ٣١، عن مجلة المجاهد ، العدد ٧٤٦، ١ ديسمبر ١٩٧٤، حوار أجراه بقطاش مرزاق.

١٥٨. اللاز، ص، ٢٧٥.

١٥٩. اللاز، ص، ٢٧١.

نشير هنا إلى أن الطاهر وطار لا يناقش في الرواية الموقف المعارض للحزب الشيوعي الجزائري من الثورة، بل هو يكتفي بالتلميح إليه من بعيد، كأن يورد مثلا على لسان "زيدان" في شكل مونولوج داخلي:"وضعي خاص، لو كنت أي شيوعي آخر، لقضى [الشيخ] علي دون استشارة أحد"[١٦٠].

إن رواية اللاز غنية برموزها، وهي تفسح المجال للتحليل على درجات متفاوتة، وفقا لثقافة القارئ واطلاعه على الأحداث التاريخية للثورة الجزائرية.

من جهة أخرى، يغيب عن رواية اللاز العنصر الديني كمحركٍ للعمل الثوري، على الرغم من حضوره تاريخيا في جميع الثورات الجزائرية بدءا من ثورة الأمير عبد القادر في العام ١٨٣٢. وهذا الغياب مرده، في رأينا، إلى الموقف الشيوعي لدى الكاتب. فشخصيات الرواية، كـــ "زيدان" و"حمو" و"اللاز" و"قدور"، تنخرط في الثورة إما بدافع طبقي أو لأنها لم تجد خيارا آخر سوى الالتحاق فيها.

الا أن هذا الإغفال لدور الدين في العمل الثوري، لا ينسجم مع اللقب الذي يطلقه الكاتب على المناضلين في الرواية، وهو لقب "المجاهدين". فالمجاهد تعبير إسلامي مشتق من كلمة "جهاد"، استخدمه الأمير عبد القادر، كما يقول مايكل ويليس، "ليميز حملته ضد الفرنسيين.. ذلك أنه من الصعب التفكير بأي إطار غير الإسلام يمكن أن تجند فيه المقاومة للغازي المسيحي بشكل أكثر فاعلية" [١٦١]. من هنا، فإننا نجد أن استخدام كلمة

---

١٦٠. اللاز، ص، ١٠٥.

١٦١. ويليس، مايكل، ص، ١٨.

"مجاهد" في رواية اللاز، يحدث التباسا بين الشكل والمضمون.

كما يؤخذ على الطاهر وطار، إنه جعل خالة "بعطوش" الخائن تتجاوب مع ابن أختها عندما همّ باغتصابها بأمر من الضابط الفرنسي. يقول بعطوش في نفسه:"كانت في الأول باردة كالميتة، ثم فجأة، غمرها دفء عجيب. عليها اللعنة، أنّت وطوقتني وتجاوبت معي بشكل فظيع" [١٦٢].

ونحن، لما كنا لا نجد لهذا التجاوب أي دور على المستوى الفني، نتساءل عن معناه؟! أفلا يعتبر هذا التجاوب تشويها للمرأة الجزائرية وتنكيلا بطهارتها؟!

أما من حيث الأسلوب، فيستخدم الطاهر وطار في رواية اللاز أسلوب الفلاش باك (الارتداء إلى الماضي)، الأمر الذي يجعل أحداث الرواية تسير في عدة أزمنة لا في زمن واحد متسلسل.

وتكثر في الرواية الاستطرادات، ذلك أن جرأة الكاتب على حد قول م. التين، "جعلته ينغمس في كتابات وثائقية تفتقر أحيانا إلى العنصر الفني" [١٦٣] . وهذا ما نلحظه من خلال مونولوجات "زيدان" الداخلية التي غالبا ما تتحول إلى تعليقات سياسية صحافية يشوبها الأسلوب التقريري المباشر.

ويذهب جودت الركابي إلى القول بأن استخدام الوطار لبعض العبارات العامية قد

---

١٦٢. اللاز، ص، ١٨٩.

١٦٣. التين، م. ،"حول التجربة القصصية عند وطار: ماذا يحصل لو عاد الماضي ليحكم على الحاضر"، صحيفة الشعب، ١٩آذار ١٩٧٥، ص، ١٠، وسنشير إليه لاحقاً بـــ التين، م. ، الشعب.

"أسهم في خلق الجو الجزائري للقصة" [١٦٤] . إحدى هذه العبارات هي اللازمة التي تتكرر على طول الرواية: "ما يبقى في الوادي غير حجاره".كذلك قول حمو: "كي تجي، تجي بها شعرة، وكي تروح تقطع بها سلاسل"[١٦٥] .

كذلك يستخدم الوطار بعض الكلمات المعربة عن الفرنسية: كاللاز (L'As) والشامبيط (Champêtre) والكابران..

ويعتمد الكاتب في الرواية على الاختيار كأحد الأساليب الفنية، فـ"قدور" ينبغي أن يختار بين الالتحاق بالثورة وعدم الالتحاق بها، وزيدان ورفاقه الشيوعيون مدعوون لأن يختاروا بين الموت الحزبي والموت الجسدي.

---

١٦٤. الركابي، جودت، الثقافة الجزائرية، ص ، ٩٢.

١٦٥. اللاز، ص، ٣٠.

الفصل الرابع

الثورة الإشتراكية في روايات عرس بغل والحوات والقصر ورمانه

سنحاول في هذا الفصل، دراسة ثلاث روايات للطاهر وطار، اتفقت فيما بينها على ضرورة بناء مجتمع اشتراكي في الجزائر، وهي روايات عرس بغل والحوات والقصر ورمانه. فما كان يطلق عليه الوطار في اللاز مصطلح الشيوعية، صار في يطلق عليه في هذه الروايات مصطلح القرمطية ومصطلح الاشتراكية.

الرواية الاولى التي سنتناولها في هذا الفصل، هي رواية عرس بغل التي صدرت عام ١٩٧٨. وهي تدور في أحد المواخير حيث ترتئي كبيرة المومسات "عنابية" جني المال بصورة سريعة عن طريق إقامة عرس صوري، تدعو إليه رفيقاتها في الحانات الأخرى وزبائنهن من الأعيان، وتحصل من خلاله على هدايا قيمة من مال وسواه، وهي تطلق عليه اسم "عرس بغل"، مما يدل على عقمه.

يصور الوطار في الرواية اصطدام الموروث الديني بالواقع القائم، من خلال شخصية "الحاج كيان"، طالب جامع الزيتونة الذي يأتي الماخور داعيا المومسات إلى العودة إلى الإسلام. إلا أنه يتوصل في النهاية إلى الاستنتاج بأن الفساد لا يحتاج إلى مواعظ بل إلى عدالة اجتماعية تزيل أسبابه، الأمر الذي يجعله يتحول من واعظ ديني إلى

داعٍ للاشتراكية.

يرمز الطاهر وطار بـ"الماخور" إلى الجزائر التي عمها الفساد، كما يرمز بـ"عرس بغل" إلى العقم الذي لا يثمر عن أية نتائج تطلعية للشعب. فالحل من أجل الخلاص لا يتأتى في نظر "الحاج كيان"- الذي نرى أنه يمثل لسان حال الكاتب- عن التخطيط من أجل جني المال كما تعتقد "عنابية"، بل ينتج عن تطبيق نظام اشتراكي عادل.

وتظهر صحة نظرية "الحاج كيان" على أثر فشل العرس في آخر الرواية. إذ تظهر نية العريس في سرقة مال العروس "عنابية"، مما يؤكد استغلال الطبقة المقهورة لبعضها البعض، فكل فرد منها يرغب في تحسين وضعه على حساب الآخر. وتبقى بالتالي فكرة تطبيق النظام الاشتراكي الحل الوحيد لإزالة الفساد.

أما الرواية الثانية التي سنتناولها في هذا الفصل، فهي رواية الحوات والقصر التي يعود تاريخ صدورها إلى العام ١٩٨٠. وتدور أحداثها في سلطنة مؤلفة من سبع قرى، يمسك بزمام أمورها سلطان مجهول الاسم. وهي تتمحور حول شخصية رئيسة هي شخصية "علي الحوات"، صياد السمك الطيب ،الذي فاض قلبه حبا وخيرا حتى جاد على أهالي قريته بصيده مجانا.وقد كان مسالما بطبعه، فلم يتدخل يوما في شؤون السلطنة السياسية، ولم يخرج من قريته ليتعرف على أهالي القرى المجاورة. يقول عن نفسه: "إنني خيّر من الصغر، وسأظل خيرا ما استطعت"[١٦٦].

---

١٦٦. الحوات والقصر، ص ، ٢٨.

تبدأ الرواية بمشهد يضم عددا من الحواتين، أي الصيادين، يتجاذبون الحديث عن خبر نجاة السلطان من محاولة اغتيال. وتتوالى الأحداث عقب إعلان "علي الحوات" عن نذره بتقديم أجمل سمكة يصطادها خلال أسبوع لجلالته احتفاء بنجاته من هذه المكيدة. وقد اختار له الوطار أن يمرّ بداخل القرى السبع التي تفصله عن القصر لا بمحاذاتها، سائلا الأهالي إذا كانوا يودون تقديم الهدايا لجلالته بهذه المناسبة، الأمر الذي يتيح لـــ "علي الحوات" فرصة التعرف على مواقف القرى المتفاوتة من القصر. فمنها المتحفظ ومنها الموالي ومنها المتصوف الذي يحلم بظهور مخلص ومنها المعارض الذي يود تقديم الشكاوى لجلالته، ومنها من يطيع السلطان بدون كرامة أو شرف، ومنها العدو اللدود للسلطان الذي يخطط لإسقاطه.

يقف "علي الحوات" في هذه القرى موقف الشاهد على تشتتها وعلى ظلم القصر واضطهاده للرعية. إلا انه يظل مصرا على المضي في تحقيق نذره وعلى التمسك بجوهره الخير. لكنه يتعرض إثر محاولاته المتكررة لدخول القصر، إلى تعسف حاشية السلطان إذ تجذم يده اليمنى بأمرٍ من أخيه مسعود حاجب القصر، وتجذم يده اليسرى بأمر من أخيه سعد رئيس الحرس في القصر، ويقطع لسانه بأمرٍ من أخيه جابر كبير المستشارين فيه.

وينتشر في كامل السلطنة أن "علي الحوات"، سمة الخير في هذا العصر، قد عوقب على نذره بدل أن يجزى. فيقتنع أهل القرى بأن لا جدوى من ضعفهم واستسلامهم وتحفظهم، ويتكاتفون جميعا تحت لواء الوحدة الوطنية في مواجهة العدو الأكبر، القصر

وسلطانه وفرسانه. ويقومون بثورة يسقطون على أثرها السلطان الجائر، وينصبّون مكانه "علي الحوات"، ممثل الخير والعدل، ملكا عليهم.

أما رواية رمانة، التي صدرت في كتاب مستقل للمرة الأولى عام ١٩٨١، فتدور حول شخصية فتاة فقيرة تدعى "رمانة" قذفها وضعها الطبقي المتردي إلى ممارسة البغاء بهدف تعليم أختيها وتأمين حياة أفضل لهما.

ويصور الوطار استغلال طبقة الأغنياء لـــ "رمانة"، التي استمرت في سلوكها المنحرف إلى أن التقت بالصدفة رجلا، سيتضح لنا فيما بعد أنه اشتراكي ثوري متخف في زي بدوي، دعته إلى دارها قبل أن تعرف حقيقته، وأسكنته حجرتها، ونادته هي وأختاها "خالي".

علّمها هذا الرجل المجهول الاسم، خلال فترة تخفية في منزلها، القراءة والكتابة، وأخبرها أنه يريد القضاء على مصدر الآلام في الجزائر ويرغب في تحقيق العدالة الاجتماعية.

وقد عملت "رمانة" بإيعاز منه مع الثوريين إلى أن اكتشف أمره، فغادر منزلها ولم يعثر له على أثرٍ بعدها. فآل بها مصيرها إلى الزواج من "تاجر تافه"[١٦٧]، اشتراها ووضعها في منزله كما يضع أية تحفة. وهكذا اقتضاها الأمر أن تحيا باقي حياتها بلا قضية.

---

١٦٧. رمانة، ص، ٨.

أ. عرس بغل:

يستعين الطاهر وطار في رواية عرس بغل التي ظهرت عام ١٩٧٨ بالمخزون العربي الإسلامي ليعالج مسألة الفساد المتفشي في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال. فيستقدم من العصر العباسي الثاني مبادئ حمدان القرمطي وأفكاره ، ويدعو على لسان "الحاج كيان" إلى تطبيق نظام قرمطي يوفر العدالة الاجتماعية كحل لمشاكل الجزائر الاقتصادية والاجتماعية.

تنطلق الرواية من حتمية وجود فساد في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، وتطرح الدين كخيار لتقويم المجتمع. فـ " الحاج كيان" في الرواية شاب زيتوني* مفعم الذهن بالخطب والمواعظ الدينية، يتوجه إلى أحد المواخير في منطقته كي يدعو المومسات إلى العودة إلى الدين الإسلامي، مقتديا بالإمام حسن**، الذي "هدى الله على يده أكثر من بغي"[١٦٨] .إلا أنه يصطدم بالواقع حين يتعرف على الظروف الاجتماعية البشعة التي دفعت بهؤلاء المومسات إلى ممارسة البغاء. تقول له "عنابية"، كبيرة المومسات في الماخور، راوية ظروفها:"دخل السينيغال*** المنزل، حملوا أبي إلى الخارج. كان يصرخ، عادوا إلينا، وضعوا في عنقه [عنق أخي] حبلا. حمله أحدهم بين يديه. ربط الآخر،الحبل

---

* نسبة إلى جامع الزيتونة في تونس، حيث تلقى "الحاج كيان" علومه الدينية.

** إمام مصري يدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة. (وطار، الطاهر، عرس بغل، ص، ٦٣، وسنشير إليها لاحقا بـــ عرس بغل).

١٦٨. عرس بغل، ص، ٣٣.

*** عناصر في الجيش الفرنسي.

بغصن التينة. كانت رجلاه تتخبطان. رغم أنه يكبرني بسنتين، فإننا، أمي وأبي وأنا، نراه جميعا طفلا في الخامسة أو السادسة. كان حبنا له أكبر منه مليون مرة. ظل يتدلى من التينة طوال الفترة التي كان السينيغال يعتدون عليّ وعلى أمي. كانت الفترة طويلة. كنت في الخامسة عشرة. أغمي علي واستفقت وأغمي علي. عندما استفقت أخيرا، لم أجد أحدا[١٦٩]".

أما "حياة النفوس"، إحدى أجمل المومسات في الماخور، فلا تزال تتذكر "أباها الذي سافر إلى فرنسا ولم يعد، وأخاها المشلول الرجلين الذي يعيل أمها وزوجها. [ولا تزال تتذكر] الليلة التي طلبتها أمها وأمرتها بالنوم في فراشها [١٧٠]" .

يدرك "الحاج كيان" إزاء هذه المعاناة أن هؤلاء المومسات لسن بحاجة إلى من يلقي عليهن المواعظ ولكن إلى من يوفّر لهن ظروفا حياتية أفضل. فالقضية، كما يقول أحمد السرساوي، ليست قضية أخلاق، بقدر ما هي قضية العلاقات الإنتاجية القائمة التي تفرز مثل هذه الأخلاق [١٧١]. تقول "عنابية" في حديث لها مع "الحاج كيان": "هذا كل ما أستطيع أن أوفره لنفسي. فهل تستطيع أنت أن تحقق لي شيئا" [١٧٢] . ويقف "الحاج" موقف الحائر حين تضيف "عنابية":"اسمع. عندما تكون واقفا في موضع على حافة جرف مثلا، ويهوي بك ذلك الجرف. من تلوم؟ هل تلوم نفسك أو تلوم الجرف أو تلوم من جعله

---

١٦٩. عرس بغل، ص، ٦١.

١٧٠. عرس بغل، ص، ١١٥.

١٧١. راجع، السرساوي، أحمد، "الطاهر وطار يحكي في عرس بغل تناقضات المجتمع"،صحيفة الثورة ، ٧ تشرين الثاني ١٩٧٨.

١٧٢ . عرس بغل، ص، ٦٣.

يهوي؟ ماذا تقرأون في جامع الزيتونة؟" [١٧٣] . فيتساءل "الحاج كيان" بدوره: "أيها الإمام، بم تقنع الضالات في المواخيز؟" [١٧٤] .

يضع الطاهر وطار في رواية عرس بغل، الموروث الديني المتشدد في مواجهةِ مع ظروف الواقع المعيشي الصعبة التي يعاني منها الشعب الجزائري بعد الاستقلال والتي تفرض عليه سلوك طريق الفساد. ويجزم من خلال شخصية "الحاج كيان" بتلاشي الأفكار الدينية المتطرفة والضيقة "حين تقدم على مجابهة تركيبات الواقع المعقدة " [١٧٥] ، معلنا عن إخفاق الدين في تطهير الجزائر من فسادها وفي تقديم الحلول لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية.

ويخلص "الحاج كيان" في الرواية، إلى القول بضرورة تطبيق نظام اجتماعي عادل أو، على حد تعبيره، "قرمطة"* المجتمع. "فلا صلاة ولا زكاة ولا وعظ ولا إرشاد

---

١٧٣. عرس بغل، ص، ٦٤.

١٧٤. عرس بغل، ص، ٦٥.

١٧٥. الأعرج، واسيني، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ١٠١، وسنشير إليه لاحقاً بـــ الأعرج، واسيني، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية.

* تقوم النظرية القرمطية على أنه لا حاجة للناس في المال، لأن الأرض بأسرها هي لهم تعميماً لا تخصيصاً، وكان هدف هذه النظرية إلغاء نظام الوراثة بين الأفراد ليحل محله النظام الذي يجعل الثروة شائعة بين جميع الأفراد بما يؤمن لكل فرد حاجته وكفايته.لقد ابتدع حمدان القرمطي لأتباعه نظاماً ينتهي بهم إلى التنازل نهائياً عن كل ما ملكت أيديهم من نضار وعقار ليكون ملكاً عاماً لأعضاء الحركة القرمطية تحت إشراف الإمام، زعيم هذه الحركة، وهذا النظام أطلق عليه اسم "نظام الألفة". يقول طه الولي ،صاحب كتاب القرامطة أول حركة اشتراكية في الاسلام، نقلاً" عن النويري في نهاية الإرب: "كان أكثر الذين اعتنقوا الدعوة القرمطية من الفلاحين والعمال وأهل الحرف، وهؤلاء كان مستوى معيشتهم منخفضاً إلى حد كبير، وكانوا على يقين من تحقيق ما تطمح إليه نفوسهم من الاستحواذ على أملاك مخالفيهم بعد أن يتم القضاء عليهم. (راجع، الولي، طه، القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، ص، ٧٣ و٧٥ و٧٦).

يؤثر في قلوب الجياع. دينهم العدل". و"مصير الإنسانية جمعاء القرمطة " [١٧٦] .

إنها دعوة اليساري إلى إقصاء الدين عن المشاكل الحياتية المعقدة، الاقتصادية منها والاجتماعية. فالنظام الفاسد، في نظر "الحاج كيان"، لا تصلحه المواعظ الدينية، بل يقوّمه التخطيط من أجل تطبيق نظام عادل. فالمجتمع الجزائري، في رأيه، "في حاجة ملحة إلى حمدان ليقرمط بين الناس ويقرمط، حتى يقيم الألفة، ويذيقهم جميعاً طعم الجنة" [١٧٧] .

تأتي دعوة "الحاج كيان" إلى القرمطة نتيجة لتجلياته الصوفية. فهو يستحضر في جلساته شخصية حمدان القرمطي، ليدعو من خلالها إلى تطبيق نظام اشتراكي عادل هو بمثابة الجنة على الأرض. فاشتراكية القرن العشرين هي قرمطية العصر العباسي الثاني، التي لاقت في عهد حمدان إقبالا شديدا لدى الفلاحين في سواد الكوفة والبصرة، لما وجدوا فيها من أملٍ في تغيير ظروفهم الاقتصادية السيئة.فالنظام العادل هو الحل، في رأي "الحاج كيان"، لمشاكل الجزائر.

يطرح الطاهر وطار هنا أحد المضامين الماركسية دون أن يشير إلى كارل ماركس. ذلك أنه يصعب على شخصية إسلامية مثل "الحاج كيان" أن تعتنق "الفكر

---

١٧٦. عرس بغل، ص، ١٠٨.

١٧٧. عرس بغل، ص، ١٩٦.

العلمي– فكر الملاحدة."[١٧٨] في نظر الشيوخ. لذا يعود الوطار إلى التراث الإسلامي ينقب فيه عما يتوافق في الجوهر مع المقولة الماركسية. ويتحدث الكاتب عن هذا المضمون الماركسي، في حوارٍ أجرته معه صحيفة تشرين عام ١٩٧٩ بخصوص رواية عرس بغل: "يقول كارل ماركس ما معناه، ان العواطف النبيلة ليست هي التي تغيّر المجتمع، وإنما الشروط المادية المحيطة به هي التي تغيّره. والحالة الثورية لا تتم بمجرد الشعارات بل تتم حسب الأسس المادية المتوفرة في هذا المجتمع أو ذاك"[١٧٩].

يضع الطاهر وطار هذا المضمون الماركسي والقرمطي أيضا، في مواجهةٍ مع ظاهرة جني المال السريع ، كوسيلة للخروج من الأزمة الاقتصادية. فالحل عند "عنابية" يكمن في جني المال السريع عن طريق إقامة "عرس بغل"، تدعو إليه الكثيرين من معارفها شرقا وغربا وتجمع فيه الهدايا والأموال من الوافدين. وهي تقرر أن تتبع التقاليد في أعراس المواخير، فإما أن تقدم الإعانات للفقراء مقابل ختن أطفالهم أو أن تحج إلى بيت الله الحرام. تقول:"نعم.يجب أن يكون هناك حج أو ختان،العرس يجب أن يكون له وجه حقيقي"[١٨٠] .ولما كان موسم الحج قد فات، لم يبق لها سوى الختان:"نختنهم بإسم محسنة" [١٨١] ، هكذا يقول الرجل الموكل بتأمين أكبر عدد ممكن من أطفال الفقراء.

---

١٧٨. سعيد، الصافي، "الطاهر وطار روائياً"، مجلة الكاتب الفلسطيني، عدد ٣، حزيران ١٩٧٨، ص، ١٥١، وسنشير إله لاحقاً بــ سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني.

١٧٩. يوسف، حسن م. ، "الطاهر وطار: اللغة الحية وجرأة الكشف والتحدي"، صحيفة تشرين،٢ ديسمبر ١٩٧٩، وسنشير إليه لاحقاً بــ يوسف، حسن م. ، تشرين .

١٨٠. عرس بغل، ص، ٩٠.

١٨١. عرس بغل، ص، ٩٠.

إن كلا من الحج والختان يحمل معاني التطهير. ففي حين أن الأول يطهر النفوس من ذنوبها، يطهر الثاني أجسام أطفال الفقراء بأمر شرعي من الدين الإسلامي. فالتطهير الذي يرمز إلى بداية حياة جديدة ونظيفة، هو أحد سمات العرس، إلى جانب سمة العطاء التي نتبينها من خلال تقديم المساعدات للفقراء. فـ"عنابية"، في رأينا، تسعى إلى التكفير عن ذنوبها حين تقرر إما الحج أو ختن أطفال الفقراء. إلا أن فعل التكفير عن الذنوب يترافق في الرواية مع السعي إلى بتغيير جذري لوضع المومس الاقتصادي بعد العرس. ونتبين هنا نزعة الوطار اليسارية. فالمرء يظل ، في رأيه، غارقا في الذنوب ما لم يتحسن وضعه الاقتصادي.

غير أن "الحاج كيان" يرى أن مشروع إقامة "عرس بغل" فاشل من أساسه، لأنه لا يخدم سوى صاحبه ولا يؤمن للفقراء سوى حسنةٍ مالية، غير عابئ بالعدالة الاجتماعية التي طالما حلموا بها. إن هذا العرس، على حد قول الصافي سعيد، هو محاولة "لتلطيف حدة الصراع وجعل الواجب مجرد صدقة"[١٨٢] ، والتطهير فيه، تطهير مرحلي لا يمحو آثار الماضي نهائيا. فالفقير في هذا العرس سيظل فقيرا. إنه مشروع "قرمطة" مؤقتة، ينقضي مع انقضاء أولى مراسيم العرس:"ما هكذا أراد حمدان أن يقرمط بين الناس، هذه قرمطة زائفة"[١٨٣] ، يقول "الحاج كيان".

فهذا العرس الذي تسعى "عنابية" إلى إقامته، لا يتكشف عن أي تغيير جذري في

---

١٨٢. سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص، ١٥١.

١٨٣. عرس بغل، ص، ١٩٢ .

حياة الجماعة، بل هو في الحقيقة عرس عقيم بدليل تسميته "عرس بغل". فهذه التسمية، على حد قول الصافي سعيد، ترتبط بالأسطورة المنتشرة في المغرب العربي التي تقول "بأنه عندما تلد البغلة بغلا يكون يوم القيامة قد قرب، أو تنتهي الدنيا وهو دليل على استحالة تلك الولادة"[١٨٤] .

إن هذا العرس لن تصاحبه أي ولادة ولن يؤدي إلى أي تغيير في الوضع الاقتصادي للطبقة الفقيرة، بل سيكرس الاستغلال بأن يحصر الثروة بأفراد.

إزاء عقم هذا المشروع، يحتم الطاهر وطار، القرمطي النزعة، عدم إتمام العرس في نهاية الرواية، مبقيا على الحل الآخر والوحيد الذي يطرحه "الحاج كيان" تحت عنوان "قرمطة المجتمع". كما يُظهر الكاتب انتهازية الإنسان لأخيه عندما تطرح معادلة المال، إذ يخون العريس "خاتم" عروسه "عنابية" محاولا سرقة الهدايا والأموال التي يقدمها المدعوون في العرس.

يقدم الطاهر وطار من خلال شخصية "الحاج كيان" نموذجا عن الجزائري الذي تثقف بثقافة إسلامية. كما يطرح كيفية معالجة هذه الشخصية لمشاكل المجتمع الجزائري. فـــ"الحاج كيان"، إثر مواجهته للأزمة الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، لا يجد سوى مخزونه الإسلامي، مرجعا ينقّب فيه بحثا عن حل. ويخلص في النهاية إلى إطلاق الدعوة من أجل تطبيق نظام "قرمطي" عادل.

يريد الوطار أن يقول هنا إن الاشتراكية هي الحل الوحيد للخروج من الأزمة،

---

١٨٤. سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص ، ١٤٩ .

سواء انطلق الجزائري من منطلق علمي أو من منطلق إسلامي. فإذا كانت الذهنية الإسلامية لدى بعض الجزائريين لا تسمح لهم باعتناق مبادئ الاشتراكية العلمية، فإن تراثهم الإسلامي سيقودهم لا مناصَ إلى القرمطة، التي تتفق في جوهرها مع الاشتراكية. يقول الوطار في حوار له مع الكاتب الفلسطيني:

"إن "الحاج كيان" – بطل رواية عرس بغل– يحمل كثيرا من صفاتنا نحن المثقفين في الجزائر ثقافة عربية. فرغم مصادر ثقافتنا الصفراء ورغم غموض واقعنا وتداخل مفاهيمنا، ننتمي إلى الاشتراكية بكل عنفوان وننجز الكثير منها"[١٨٥] .إلا أن "الحاج كيان" لا يمثل في الرواية المثقف الجزائري فحسب، بل يبرز أيضا جانبا من حياة الوطار الشخصية. إذ يقول الوطار: "بعض جلسات "الحاج كيان" عشتها أو عاشها أناس عرفتهم[١٨٦] " . فهذه الجلسات التأملية التي يستحضر خلالها "الحاج كيان" شخصيات من التراث الإسلامي، تمثل معاناة المثقف الجزائري عموما والوطار خصوصا.

أما من حيث الأسلوب، فينفذ الطاهر وطار في رواية عرس بغل، من الخاص إلى العام. فالماخور ليس سوى الجزائر التي غرقت في الفساد بعد الاستقلال. والمومسات لسن سوى "المؤسسات" [١٨٧] الجزائرية التي ألمت بها ظروف اقتصادية سيئة بعد الاستقلال، حتمت عليها الانجراف في تيار الفساد.

---

١٨٥. سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص، ١٤٨.

١٨٦. الحرية ، ١٩ حزيران ١٩٨٣، ص، ٤٧.

١٨٧. عرس بغل، ص، ٤٤.

ب. الحوات والقصر:

يفتتح الطاهر وطار رواية الحوات والقصر، بمشهدٍ يضم عدداً من الحواتين أو صيادي السمك، يتداولون خلاله خبر نجاة السلطان من محاولة اغتيال. وينذر "علي الحوات" على أثره لجلالته، أحسن سمكةٍ يصطادها خلال أسبوع. وبعد اصطياده للسمكة، يقرر "علي الحوات" أن يبدأ رحلته نحو القصر. إلا أنه يجد نفسه مخيّرا في اجتياز أحد طريقين: الطريق الأول يقطع داخل القرى السبع التي تفصل "علي الحوات" عن القصر. والطريق الثاني يمر بمحاذاة القرى السبع ويستغرق العبور فيه وقتا أطول بالمقارنة مع الطريق الأول.

فيقرر "علي الحوات" سلوك الطريق الأول لسببين:

أولا، إن الطريق الأول أقصر من الطريق الثاني.

ثانيا، إنه يود أن يسأل أهالي القرى السبع إذا كانوا يرغبون في تقديم الهدايا لجلالته بهذه المناسبة.

من هنا، ينفذ الطاهر وطار ليقدم صورة عن الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في السلطنة. إذ يضع "علي الحوات" في مواجهةٍ مع إيديولوجيات سبع، هي القرى السبع:

القرية الأولى، هي قرية "علي الحوات" التي يُطلق عليها اسم "قرية التحفظ"[١٨٨]،

---

١٨٨. الحوات والقصر، ص٤٩.

لأن أهلها يتجنبون القصر بالخير والشر. فهم لا يتقدمون إلى جلالته بالشكاوى ولا يتقربون إليه بالهدايا. بل يلتزمون حيادية مفرطة، رغبة منهم في عدم الدخول في دهاليز السياسة.

يقول شيخ كبير في القرية "لا أحد يعلم كم عمره" [١٨٩] ، لـــ"علي الحوات": "إذا كان لكل عصرٍ في هذه القرية سمة، فإن هناك عصرا لم ينته بعد، سمته اللاسياسة" [١٩٠] .

إن "علي الحوات "حين يطالب أهالي قريته بتقديم الهدايا لجلالته، إنما يحثهم على مخالفة تاريخهم ويحاول أن ينتقل بهم من طور اللاسياسة إلى طور السياسة. إلا أن محاولته هذه لم تأتِ عن سابق تصورٍ وتصميم، بل جاءت نتيجة طبيعية لطيبته وبساطته. فهو لم يكن يعلم أن الموالاة تشكل موقفا سياسيا، بل كان يظنها بفطرته حقا مكتسبا للسلطان وواجبا بديهيا على الرعية.

يشير الوطار هنا إلى أن علي الحوات يطأ أولى درجات العمل السياسي، دون علمٍ منه، عندما يقرر تقديم أحسن سمكة يصطادها للسلطان، مما يدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على السياسة.

القرية الثانية هي "قرية الاحتجاجات"[١٩١] ، التي لا يتوانى أهلها عن تقديم الشكاوى إلى السلطان، ولا يعثر المرء فيها على موالٍ واحد. إذ ينفض أهل القرية جميعا

---

١٨٩. الحوات والقصر، ص، ٣٥.

١٩٠. الحوات والقصر، ص، ٣٧.

١٩١. الحوات والقصر، ص، ١٥٠.

من حول "علي الحوات" حين يطلب من أصحاب التظلمات الانصراف، فيتساءل:"أكل هؤلاء شاكون متظلمون، أكلّ هؤلاء رعايا غير موالين للقصر"[١٩٢] .يستغرب علي الحوات موقف الاحتجاج في القرية الثانية، لأن جوهره الطيب لا يسمح له بتقبل وجود رعايا غير موالين للسلطة. هو يمثل الشعب الطيب الذي يقدم الطاعة التامة للسلطة دون أن يبحث في حسن أدائها أو سوئه.

القرية الثالثة هي "قرية التساؤلات"[١٩٣] ، التي يتحفظ أهلها عن "إعلان ولائهم للقصر ولا يتورعون عن إبداء السخرية، أو حتى الازدراء والكراهية"[١٩٤] .ونحن لا نعثر في الرواية على سبب تسمية الوطار هذه القرية "بقرية التساؤلات". ذلك أننا لا نلتقي فيها من يتساءل عن أمور القصر، بل نقابل من يتميز برباطة الجأش معلنا بكل ثقة أمام فرسان القصر عن سخطه على السلطان، إذ يصيح في وجوههم: "أنا هنا، أنا هنا. لقد شتمت القصر، وما زلت مستعداً لشتمه، إنه ظالم، جائر. وجلالته أسير للأعداء واللصوص، يسقط القصر، يحيا العدل"[١٩٥] . ولا يكاد يكمل جملته حتى تقطع رقبته.يمثل هذا الرجل المجهول الاسم في الرواية، فئة المفكرين العقائديين والثوار الذين يقابلون الموت بشجاعة رافضين حياة الذل.

---

١٩٢. الحوات والقصر، ص، ٤٠.

١٩٣. الحوات والقصر، ص، ١٥٠.

١٩٤. الحوات والقصر، ص، ٥٠.

١٩٥. الحوات والقصر، ص، ٥٣.

أما القرية الرابعة التي يصورها الوطار، فهي قرية بني هرار التي حصّنت نفسها ضد القصر باقترافها رذائل القصر وجرائمه ذاتها. إنها قرية لا يسكنها غير لقيط أثيم "فيه الرذائل السبع والعيوب السبعة"[١٩٦] . و"لا يدخلها الا حرس جلالته، يقتلون ويأثمون ويفحشون، وفي آخر المطاف يهتف السكان، بأن حرس جلالته لم يرتفع إلى مستوى كبائرهم"[١٩٧]. يمثّل أهالي هذه القرية الطبقة المترفة في المجتمع التي تبيح لنفسها القيام بالفواحش وإتيان الكبائر.

وفي حين أنا نجد أهل قرية بني هرار يوغلون في الفحش، نجد أهل القرية الخامسة، "قرية التصوف" أو "مملكة الظلم"، يقصرون موقفهم على الحلم بالخلاص من اضطهاد القصر لهم. إذ يتوجهون إلى "علي الحوات" بصفته المنقذ ويغدقون عليه مختلف معاني التقديس مطلقين عليه اسم "روح الله" و"آيته"[١٩٨] ، في حين أنهم لا يبادرون إلى القيام بأي عملٍ من شأنه أن يحقق لهم حلمهم المنشود. يقول شيخ ملتح في القرية لـــ"علي الحوات":"في ليلة واحدة يا علي الحوات، رآك جميع أهل القرية في منامهم. حلموا بك حلماً* واحدا يا علي الحوات" [١٩٩] . إنه حلم المتصوفة بظهور مهدي 'يبدل الأحكام في

---

١٩٦. الحوات والقصر، ص، ٥٤.

١٩٧. الحوات والقصر، ص، ٥٥.

١٩٨. الحوات والقصر، ص، ٦١.

* حلم أهل "قرية التصوف" بتنصيب علي الحوات سلطاناً على الرعية. تصف العذراء الوحيدة في القرية، الحلم بقولها: "تشكل على رأسه تاجاً باهراً، طاف على القرى السبع، حملها بين ذراعيه، وضمها على بعضها. هوى قطب. ذاب جبل.تحول هو والتاج إلى وهج وارتفع إلى عنان السماء". (الحوات والقصر، ص، ١٦٨).

١٩٩. الحوات والقصر، ص، ٦٣.

العالم، من الجور إلى العدل، من الجهل إلى العلم، من الفقر إلى الغنى، من الضعف إلى القوة " [٢٠٠] . تمثل "قرية التصوف" في الرواية، فئة الضعفاء من الشعب الذين يهربون من الواقع إلى الحلم، ويكتفون بالتضرع إلى نصيرهم كي ينقذهم.

القرية السادسة هي "قرية الموالاة" التي ترتضي العيش من دون كرامة أو شرف، فتبيح نساءها للسلطان ولحاشيته، وتحكم على كل رجل فيها بالخصي، إثباتاً لولائها للقصر. يقول أحد رعاياها: "تقربنا بكل حلائلنا وبناتنا جواري مباحات للسلطان ولحاشيته ولفرسانه ولحرسه. ولنقيم الدليل في ذلك أقسمنا على أن الأنثى في قريتنا لن توطأ من رجال منا. ولنثبت صحة ذلك، حكمنا على كل رجلٍ فينا بالخصي، نعم بالخصي " [٢٠١].

تمثل هذه القرية، فئة من الشعب تتملق أصحاب النفوذ وتتذل لهم، ضمانا لسلامتها وصونا لعيشها.

أما القرية السابعة التي يمر بها علي الحوات، فهي "أقرب القرى إلى القصر، وهي أدرى من غيرها بكثير من شؤونه، وهي على خلاف كبير مع القرية السادسة [٢٠٢] ، قرية الموالاة. ترفض هذه القرية الانصياع لسياسة القصر الظالمة، وتطلق على نفسها اسم "مدينة الأباة" في حين يطلق عليها القصر اسم "قرية الأعداء".

---

٢٠٠. الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، ص، ١١٠٤.

٢٠١. الحوات والقصر، ص، ٨٥.

٢٠٢. الحوات والقصر، ص، ٧٩.

يصور الوطار بناء القرية السابعة دون سواها من القرى، فيقول: "بناؤها عجيب، ديارها في أسفل قرار سحيق، مبنية بصخور سوداء ومغطاة بقرميد من الحديد المطعم. وفي الأعلى، وعلى القمم السبع المحيطة بالقرار، أقيمت مظلة من الغرانيت والإسمنت، تمتد على كامل محيطها نوافذ صغيرة يربس فيها رجال مسلحون بالنشاشيب، وفي الوسط تبدو نوافذ كبيرة، لا شك أنها أقيمت من أجل عبور أشعة الشمس إلى أسفل" [٢٠٣] .

كما أن قرية الأباة هي القرية الوحيدة التي تنبعث فيها الشمس في الليل. ذلك أن أهلها أقاموا في منتصف السماء مرآة "لتظل الشمس، مهما بعدت، تنعكس فيها"[٢٠٤] .وهي تختلف أيضا عن باقي القرى بحسن التنظيم داخلها. أما سكانها، فيبدون كما يقول علي الحوات "في صحة جيدة، في ثياب حسنة، وأهم من كل ذلك، أن الهدوء يطبع حركاتهم ونظراتهم، عكس باقي الرعية في القرى الأخرى" [٢٠٥] .

كما تستقطب "قرية الأعداء" كل العلماء وكل الأنبياء وكل الرسل، ليعملوا على إنجاز مشروع عظيم*، إذا تحقق "استغنت البشرية عن جميع السلاطين والقصور" [٢٠٦] .

إن هدف القرية السابعة هو القضاء على القصر لأنه صار، في رأي أهلها، وكرا

---

٢٠٣. الحوات والقصر، ص، ١٠٥.

٢٠٤. الحوات والقصر، ص، ١١٦.

٢٠٥. الحوات والقصر، ص، ١١٧.

* يقتضي المشروع تحريك الحاسة السابعة عشرة. وهي حاسة التزود الذاتي. تغني الإنسان عن كل شيء، إذا ما برد يدفئ نفسه بمجرد قرار يتخذ. إذا ما جاع يفعل كذلك... (راجع، الحوات والقصر، ص، ١١٥).

٢٠٦. الحوات والقصر، ص، ١١٤.

للصوص. وهي تسعى إلى تحقيق المساواة بين الرعية، فلا يعود يفقر أحد ولا يجوع أحد، وتدخل الطمأنينة قلوب كل الأهالي ويعلو الهدوء وجوههم جميعا.

تجسّد "قرية الأباة"، اليسار في المجتمع من حيث رواج العدالة فيها وسعيها إلى تعميم المساواة بين أهالي السلطنة. كما أن التنظيم داخلها يلحق بها صفة الاشتراكية، فكل شيء فيها "موزع بالتقسيط" [٢٠٧] . ويذهب أحد النقاد الجزائريين إلى القول بأن بناء القرية السابعة اشتراكي" [٢٠٨] .

كما ينسب الوطار إلى أهلها صفة العلم والدراية، ويجعلها مركزا فكريا يؤمه العلماء من كل حدبٍ وصوب، ليبحثوا في أمور السلطنة وليعثروا على حلٍ يكون بمثابة الخلاص للأهالي من جور القصر.ويوكل الوطار إلى القرية السابعة ، مهمة التخطيط من أجل تحقيق الثورة على القصر. مما يدل على أن اليسار وحده هو القادر على محاربة الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية. فالخلاص في رأي الوطار، يكمن في تبني التوجه اليساري لا غير.

يتعرف "علي الحوات"، بمروره داخل القرى السبع في طريقه إلى القصر، على مواقف الأهالي المتباينة من السلطان ويكتسب معرفة بشؤون السلطنة. يقول:"أشعر أنني تضخمت سبع مرات" [٢٠٩] .إلا أنه يظل محافظا على جوهره الطيب ويظل مصرا على

---

٢٠٧. الحوات والقصر، ص، ١٢٠.

٢٠٨. راجع، الأعرج، واسيني، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية ، ص، ١٢٠.

٢٠٩. الحوات والقصر، ص، ١٦١.

الوفاء بنذره للسلطان. لكن نذره يقابل بالشر بدل الخير، فيتعرض للتنكيل على أثر محاولاته المتكررة دخول القصر. إذ تجذم يداه ويقطع لسانه على أيدي أخوته العاملين في القصر. غير أن الرعية تتلاحم وتتوحد في النهاية لنصرته، فتسقط السلطان وتنصبه ملكا مكانه.

يجسّد "علي الحوات" في رحلته عبر القرى السبع، الخير المطلق الذي يبدأ بالامتزاج تدريجيا بالواقع. إذ تبدأ هذه الشخصية بالتعرف شيئا فشيئا على مشاكل الأهالي، فتتحسس معاناتهم، وتنتقل على أثر معاينتها للواقع من حالة الفهم اليوتوبي للعلاقة بين القصر والرعية إلى حالة الوعي والبحث في خلفية المشاكل المطروحة على الساحة السياسية في السلطنة.

تشكل هذه الرحلة بالنسبة لــ"علي الحوات" ، صحوة الإنسان المفطور على الخير، يقول:"ها أنني بدوري أنساق وراء التيار، فأقبل القيام بأدوار سياسية"[٢١٠] .

إذن فإن العمل السياسي يفرض نفسه كحتمية تاريخية في الرواية. فلا منطقة محايدة يمكن أن يقف عليها المرء إثر مواجهته لمأساة شعب. فإما أن يكون مواليا للسلطة الجائرة وإما أن يكون مناهضا لها. فــ"علي الحوات" يبدأ مواليا لسلطة يظنها صالحة، لكنه يتحول تدريجيا إلى مناهضٍ لها حين يلمس ظلمها للرعية.

وينتج عن ظهوره على الساحة السياسية في القرى السبع، أمران:

أولا: انتشار الوعي بين الأهالي.

---

٢١٠. الحوات والقصر، ص، ١٠٠.

ثانيا: توحيد القرى على الرغم من اختلاف مواقفها من القصر. اذ يقول "علي الحوات" في طريقه إلى القرية السادسة: "ما ينقص السلطنة هو الوحدة، هو فكرة الوطن"[٢١١].

يمثّل "علي الحوات" في الرواية المسيح المخلص الذي يفتدي الرعية بنفسه، من أجل أن يبعث السلطنة من ركودها. إذ تجذم ذراعاه ويقطع لسانه بأمرٍ من أخوته الثلاثة في القصر سعد ومسعود وجابر، إلا أنه يأبى أن يتراجع عن مهمته. فيحقق بالتالي، كما تقول غادة نبيل، "الثورة عن طريق التزام الخير وحده كقوة دافعة، بل وعدم التحول عنها مهما لاقى الإنسان من ظلم "[٢١٢]. فتقطيع أوصال "علي الحوات" في الرواية، يشكل محاولة فاشلة لتقطيع أوصال الخير في السلطنة ولإجهاض ثورة الشعب الداعية لتحقيق العدالة.

يصور الطاهر وطار من خلال شخصية "علي الحوات" الاضطهاد الذي يتعرض له الإنسان الخير على إثر دعوته لتحقيق العدالة في المجتمع.فـــ"علي الحوات" يجسد، في رأينا، مسيرة المناضل اليساري الذي يلاقي الظلم. إلا أن الكاتب يأبى أن يضع نهاية أليمة لحياة بطله. ذلك أن إيمان الوطار في تحقيق العدالة لا ينضب، كما أن اليساري الذي يعيش داخله يرفض الاستسلام للسلطات الجائرة.

لذا تأتي النهاية في الرواية مشرقة بالأمل، إذ يقول الراوي في الصفحة الأخيرة:

---

٢١١. الحوات والقصر، ص، ٧٦.

٢١٢. نبيل، غادة، "الطاهر وطار والزمن العربي"، صحيفة الجمهورية، الثلاثاء في ٢ أيلول١٩٨٧، وسنشير إليه لاحقاً بـــ نبيل، غادة، الجمهورية.

"كل الأقاويل تجمع على أن القصر انتهى وأن حلم المتصوفين تحقق"[٢١٣] .

يتحقق في الراوية حلم المتصوفة بتنصيب "علي الحوات" سلطانا على الرعية. فيتوج الخير المطلق، والدعوة إلى تحقيق العدالة، ملكا في ختام الرواية. وينصر الوطار قوى الخير على قوى الشر، موظفا نظريته اليسارية المتفائلة بمستقبل أفضل.

يستخدم الطاهر وطار، في رواية الحوات والقصر الأسطورة ، على حد قوله، ليعبر عن فاجعة المناضل اليساري، بعد سلسلةٍ من المحاولات لإجهاض إنجازات القادة اليساريين في العالم. يقول في حوارٍ له مع الكاتب الفلسطيني:

"اغتيال المحجوب ورفاقه. اغتيال سلفادور الندي ورفاقه. إسقاط كل ما أمكن إسقاطه من منجزات عبد الناصر. وقبلها اغتيال شي غيفارا. لوممبا. بن بركة*.والقائمة طويلة. كل هذه الاغتيالات التي تحركها قوى القهر والاغتصاب، هي إحداث ضد الإنسان. تحديات شنيعة وتراجيدية لا يحكمها إلا منطق الاحتكار. إنه جنون التملك. إنه واقع مجنون يجب تحطيمه والتعبير عنه فنيا. التعبير عن لا معقولية هذا الواقع يحتم الالتجاء إلى اللامعقول بالذات" [٢١٤] .

وهذا اللامعقول المشحون بالفاجعة يتجسد فنيا، في رأي الوطار، في الأسطورة.

---

٢١٣. الحوات والقصر، ص، ٢٦٨

* المحجوب، زمن كتابة الوطار روايته، هو أمين عام الحزب الشيوعي في السودان، وسلفادور الندي هو رئيس جمهورية التشيلي في أميركا الجنوبية، ولوممبا هو رئيس وزراء الكونغو، وبن بركة هو أحد المناضلين في الحركة العمالية في المغرب.

٢١٤. سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص، ١٤٣.

يقول: "الأسطورة، أليست مشحونة بالفاجعة في كل فواصلها" [٢١٥].

يهول الطاهر وطار ما يصيب الأحزاب اليسارية في العالم من اغتيالاتٍ ومحاولاتٍ لإسقاط إنجازاتها. لذا يوظف في رواية الحوات والقصر، الأسطورة، لغة "الفاجعة" على حد تعبيره، ليدافع عن النظم اليسارية وليؤكد بأن تطبيقها هو الحل الوحيد لتطهير المجتمعات وقصور الحكام من الفساد. وهو لا يأتي في الرواية على ذكر زمان وقوع الأحداث ومكانها، مما يكسب النص شمولية. فالزمان هو كل زمان لا تطبق فيه العدالة، والمكان هو كل مكان لا يجيز تطبيقها.

يعبّر الوطار في الحوات والقصر عن فاجعة المناضل اليساري في العالم. كما يتنبأ، في رأينا، بفاجعة مرتقبة للمناضل اليساري الجزائري، ويحذر منها. ونحن نفترض وجود نبوءة في هذه الرواية لسببين:

أولا: لقد أنهى الوطار كتابة الحوات والقصر في العام ١٩٧٤*، أي إبان حكم الهواري بومدين الذي تميز عهده بمساندة اليساريين وبالدعوة إلى قيام ألف قرية اشتراكية.

فالوطار إذا، لا يصور فاجعة في الجزائر في تلك الفترة، إنما يتنبأ بها.

ثانيا: لقد كان المغرب العربي دائما تابعا في سياسته لمصر. فسياسة بومدين الاشتراكية في الجزائر كانت امتدادا لسياسة عبد الناصر الاشتراكية في مصر. كذلك التحول الذي شهدته مصر في سياستها منذ بدء عهد السادات عام ١٩٧٠، سيقابله تحول في

---

٢١٥. سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص، ١٤٤.

* الحوات والقصر، ص، ٢٦٨.

سياسة الجزائر منذ بدء عهد الشاذلي بن جديد عام ١٩٧٩. فلعل الوطار يتنبأ في الحوات والقصر بفاجعة مرتقبة في الجزائر على صعيد التطبيق الاشتراكي، فيحذر منها ويضع برنامجا لإبطال أسبابها.

من ناحية أخرى، يقصر الطاهر وطار الوصف في الراوية على القرية السابعة، قرية الأعداء أو الأباة، إذ يصور بناءها بدقة، في حين ينعدم الوصف في القرى الست السابقة، مما يشير في رأينا إلى أمرين:

أولا: إن قرية الأعداء أو الأباة، تمثل الملجأ الوحيد لسكان السلطنة. فبناؤها هو البناء الحسي الوحيد الذي يمكن تصوره في الراوية.

ثانيا: إن القرية السابعة هي بمثابة النور لباقي القرى، ذلك أن نور الشمس لا يغيب عنها على مدار ساعات اليوم.

ويذهب أحد النقاد إلى القول بأن عدم وصف القرى الست لم يأتِ "مصادفةً أو سهواً، بل إهمال مقصود لذاته. يرمز به الكاتب إلى انعدام الهوية أو اللاوجود الذي تعاني منه هذه القرى" [٢١٦] .

يوفق الوطار في رأينا بين الشكل والمضمون في الرواية. فقرية الأعداء التي يستغرق الكاتب في وصف بنائها هي القرية الوحيدة التي تخطط للخلاص من جور السلطان، وتحدث تحولا جذريا في فهم "علي الحوات" للواقع بعد تبلور وعيه تدريجيا

---

٢١٦. عيسى، مبارك، "دراسة نقدية لرواية الحوات والقصر"، صحيفة الشعب، ٨ تشرين الاول ١٩٨٧، وسنشير إليه لاحقاً بـــ عيسى، مبارك، الشعب.

أثناء رحلته.

ونلاحظ ايضا أن الوطار في الحوات والقصر ، لا يبذل جهدا في اختيار ألفاظه[٢١٧]، فالكلمات بسيطة وتراكيب الجمل سهلة. وهذا أمر يفرضه، في رأينا، المضمون الشعبي والأسطوري للرواية.

من ناحية أخرى، نلاحظ تكرار الرقم سبعة في الرواية:"سبع قرى، سبعين رطلا"[٢١٨] ، "الرذائل السبع والعيوب السبعة" [٢١٩] ، "سبعة خطباء" [٢٢٠] ، "تسعة وسبعين شهراً، سبعة أنبياء وسبعة رسل وسبعة مخترعين وسبعة حكماء" [٢٢١] ...

يضفي تكرار هذا الرقم في الرواية جوا من التفاؤل، أو لنقل الإصرار على التفاؤل، على الرغم من الصعاب التي يمر بها "علي الحوات". فالرقم سبعة، على حد تعبير أحد النقاد، يرمز إلى الوفرة وازدهار الحب والحياة. كما أنه يمثل الكمال عند الأفارقة [٢٢٢] . وفي الثقافة العربية الإسلامية يتخذ الرقم سبعة بعدا قدسيا [٢٢٣] ، اذ يرد في

---

٢١٧. راجع، بوزفور، منصف، "الحوات والقصر"، صحيفة العالم السياسي، ١١-١٨ ديسمبر ١٩٩٥.

٢١٨. الحوات والقصر، ص، ٢٧.

٢١٩. الحوات والقصر، ص، ٥٤.

٢٢٠. الحوات والقصر، ص، ٨١.

٢٢١. الحوات والقصر، ص، ٨٨.

٢٢٢. راجع، عيسى، مبارك، الشعب.

٢٢٣. إحمامه، حسن، "الحوات والقصر متخيل العدد ورمزيته"، صحيفة الزمان، العدد ١٠٦، السبت/الأحد ٢٢-٢٣ آب ١٩٩٨.

القرآن الكريم "سبع سموات" و"سبعة أيام".

تحمل رواية الحوات والقصر تفاؤل المناضل اليساري وأمله في تحقيق حياة أفضل. إذ يجعل الوطار من الخير والعدل في النهاية سلطانا على الرعية بالرغم من الفاجعة التي أصابته اثر اغتيال العديد من الزعماء اليساريين في العالم.

ج. رمانة:

يقدّم الطاهر وطار في رواية رمانة شخصية رجل يساري متخف في زي بدوي، تدعوه "رمانة" كأي زبون إلى منزلها. إلا أنه لا يعاملها كعاهر بل كضحية، فينبهها إلى ضرورة الاعتناء بصحتها ويعلّمها القراءة والكتابة إلى جانب حرفة تكسب بها قوتها ويرعى أختيها الصغيرتين إذا غابت.تقول "رمانة" في نفسها: "أحسست لأول مرة أنني إنسانة. وأنني لست بضاعة، بضاعة ثمينة" [٢٢٤].

"رمانة" في الرواية صبية في السادسة عشرة من عمرها، تنتمي إلى أسرة فقيرة مؤلفة من ستة أفراد. تغيرت حياتها تغيرا جذريا بعد وفاة والدها، المعيل الوحيد للأسرة، إذ اضطرت طلبا للعيش أن تسلك ووالدتها طريق البغاء. تقول: "خرجت أمي المسكينة تبحث عن عمل، يوما وثانيا وثالثا وعاشرا. ولكنها كانت في كل يوم تعود بقاذورات تلتقطها من مزابل أسواق الخضر... فانفتح باب كوخنا على مصراعيه. كانت أمي جميلة

---

٢٢٤. رمانة، ص، ٧٧.

وكنت أجمل منها بكثير.. واستقبلناهم.. تمنعت أياما ثم تحطم كل شيء [٢٢٥] ".

ترمز "رمانة" في الرواية إلى الطبقة المعدمة في الجزائر التي انغمست في الفساد بدافع من الفقر والجهل. فهي ليست داعرة بإرادتها، لكن اللاعدالة الاجتماعية التي تستبد بالبلاد تفرض عليها ممارسة البغاء. سألها صالح، أحد زبائنها، مرة: "تبغين عيشة شريفة"، فأجابته: "نعم" [٢٢٦] . فهي لم تختر سلوك طريق البغاء راضية، لكنها لم تجد سواه وسيلة لتأمين مستلزمات الحياة الضرورية لأختيها الصغيرتين. تقول: "أريد أن أهتم بأختي. وأدخلهما المدرسة".[٢٢٧]

يربط الطاهر وطار في القصة، من منطلق يساري، بين الخلل الطبقي في المجتمع وبين الفساد، مستثيرا شفقتنا على "رمانة" التي وقعت ضحية للفقر والجهل. ويقدم، إزاء هذه المعاناة الطبقية التي تحياها "رمانة"، شخصية رجل متخف في زي بدوي، يظهر بصورة المخلص الذي يريد القضاء على مصدر الآلام في المجتمع وتحقيق العدالة فيه على أساس يساري. يقول لــ"رمانة": "نطرد المستغلين ونستعيد خيراتنا، ويتعلم كل الناس ويتداوون ويشبعون، ويسكنون في المباني الضخمة، ولا يذلون، ولا يسيطر عليهم تاجر أو سمسار، أو أي سيد آخر"[٢٢٨].

---

٢٢٥. رمانة، ص، ٩.

٢٢٦. رمانة، ص، ٥٣.

٢٢٧. رمانة، ص، ٥٠.

٢٢٨. رمانة، ص، ٧٥.

يأتي هذا الكلام بمثابة البعث لــ "رمانة"، التي ذاقت مرّ الفقر منذ طفولتها وحرمت من دخول المدرسة وسكنت في كوخ قصديري مظلم ومنعت في صغرها من مقابلة طبيب المستشفى لأنها لا تحمل بطاقة فقر وعانت بعد وفاة والدها من استغلال الطبقة الغنية لها. لذا فهي تشعر إلى جانب هذا الرجل الذي أصبحت فيما بعد تناديه "خالي" بــ"أقصى ذرى الهناء والطمأنينة" [٢٢٩]. فهو يشكل الدفء الذي تسعى إليه دائماً الطبقة المعدمة في الجزائر.

يعلن هذا الرجل اليساري في الرواية أنه من أجل القضاء على الاستغلاليين في الجزائر لا بد من القضاء على أسباب وجود ظاهرة الاستغلال فيها. فهؤلاء الاستغلاليون "صادقون في موقفهم من الحياة، ذلك أنهم يخضعون لظروف معينة" [٢٣٠] لا بد من تبديدها. يدعو الطاهر وطار اليساري النزعة في روايات عرس بغل والحوات والقصر ورمانة، اما الى "قرمطة" المجتمع أو إلى بناء مجتمع اشتراكي. غير أن أشكال دعوته وان اختلفت، فهي تصب دائما في مبدأ واحد هو العدالة الاجتماعية. فالوطار، كما يتضح لنا من خلال هذه الروايات، يؤمن بأن صلاح المجتمع واستقراره يأتي نتيجة توفر المساواة في العيش بين أفراده جميعا. ويدعو من خلال كتاباته إلى إلغاء الطبقية، فليس من العدل في رأيه أن يجوع قوم ويحيا قوم آخر في حالةٍ من الترف.

تمثل هذه الروايات للوطار وجوها مختلفة لقضية واحدة هي العدل الاجتماعي،

---

٢٢٩. رمانة، ص، ٧٩.

٢٣٠. رمانة، ص، ٧٦.

وهذه القضية هي معينه الذي لا ينضب. فالروائي الهادف، كما يقول الوطار، "لا يكتب روايات كثيرة مهما تعددت عناوين كتبه ومضامين إنتاجه، إنما يكتب رواية واحدة، يظل طوال حياته يؤلفها، إلى أن ينتهي.. إنه ينظر إلى موضوعه، من مختلف الزوايا..."[٢٣١].

٢٣١. رمانة، ص، ٦.

الفصل الخامس

الثورة الزراعية في روايتي الزلزال والعشق والموت في الزمن الحراشي

يطرح الطاهر وطار في روايتيه الزلزال والعشق والموت في الزمن الحراشي، موضوع الثورة الزراعية*، الذي يأتي مكملا لحلم الكاتب بتطبيق الاشتراكية في الجزائر. ففي حين كان يدعو في رواياته في المرحلة الاولى إلى تطبيق الشيوعية والقرمطة وإلى بناء مجتمع اشتراكي، صار في هذه المرحلة الثانية يدعو إلى تطبيق مشروع الثورة الزراعية.

فالثورة الوطارية لا تنتهي مع إعلان الاستقلال، بل تستمر ما دام القهر الطبقي والاستغلال موجودين في الجزائر. والكاتب اليساري الذي خيّبت الثورة أمله بتحقيق نظام اجتماعي عادل، بعدما اجهضت عمل الحزب الشيوعي الجزائري، كما يتبيّن لنا في رواية

---

* أصدر الرئيس الهواري بومدين، ثاني رئيس جمهورية في الجزائر، في ٨ تشرين الثاني ١٩٧١، "أمر رقم ٧١ – ٧٣" القاضي بتطبيق الثورة الزراعية. وقد نصت المادة الأولى منه على ما يلي: "الأرض لمن يخدمها، ولا يملك الحق في الأرض إلا من يفلحها ويستثمرها". لقد هدفت الثورة الزراعية إلى القضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان بمكافحتها التغيب [عن الأرض] وبتحديدها الملكية الخاصة، على أساس أنها لا تتجاوز طاقة الملاك وعائلته وإنها تسمح له بإنتاج كاف لإعالتها. كما رمت الثورة الزراعية إلى تحسين ظروف المعيشة لصغار الملاكين وذوي الأملاك المتوسطة الذين يستغلون أراضيهم بأنفسهم، ودفعت التعويض للملاكين الذين أممت أراضيهم. (راجع، الخالدي، سهيل، ص، ٧٠ و٧١، و٨٥ و١١٢ و١١٣، والجزائر إلى أين، ص، ١٣٨).

اللاز، ينتقل بعد الاستقلال إلى مؤازرة مشروع الثورة الزراعية، رافضا التخلي عن حلمه. فإذا كانت الثورة المسلحة قد انتهت، فإن الثورة العقائدية لم تنته بعد.

تتمحور رواية الزلزال الصادرة عام ١٩٧٤، حول شخصية الشيخ "عبد المجيد بو الأرواح" الذي يحتل منصب مدير ثانوية حكومية في العاصمة الجزائرية، ويملك من الأطيان ما يقارب الثلاثة آلاف هكتار، إلا أنه لم يرزق ولدا يرث ممتلكاته.

يتوجه الشيخ "بو الأرواح" من العاصمة إلى قسنطينة، متحملا مشاق تسع ساعات سفر، آملا في العثور على أقاربه الذين قطع صلته بهم منذ عهد طويل. يأتي منقبا عن آثارهم بعد أن تأكد له خبر تأميم الأراضي الزراعية. فهو لا يجد بدا من توزيع أملاكه الزراعية على ذويه، بدلا من أن تنتزعها منه الدولة عنوة. يقول: "أقسّم في الورق الأرض على الورثاء، حتى إذا ما جاؤوا لإنتزاعها لم يجدوا بين يدي الشيء الكثير" [٢٣٢].

الا أنه يفاجأ بالانقلاب الذي طرأ على حياة كلٍ منهم فجميعهم انتقلوا إلى أوضاع اجتماعية أفضل من الأوضاع التي تركهم عليها. فعمار الحلاق، صهر الشيخ، الذي طرده بو الأرواح شر طردة منذ تسع عشرة سنة [٢٣٣]، حين جاء ليقترض منه مبلغا من المال، يستشهد استشهادا بطوليا إبان الثورة، ويصبح بطلا من أبطالها وموضع فخر لابنه البالغ ستة عشر عاما. كذلك عبد القادر الغرابلي، ابن عم الشيخ، الذي استولى بو الأرواح على

---

٢٣٢. الزلزال، ص، ٣١.

٢٣٣. راجع، الزلزال، ص، ٥٨.

مائة هكتار من أرضه بعد أن عجز عن دفع دينه في تاريخ استحقاقه، يتخرج بعد الاستقلال من الجامعة ويصبح أستاذا في الثانوية.أما عيسى المتصوف، إبن خالة الشيخ، الذي استغفله "بو الأرواح" وسجّل أرضه باسمه دون علمه، فيتحول بعد الاستقلال إلى نقابي اشتراكي. والطاهر، ابن أخ الشيخ، يتحول من نشال إلى ضابط سام، يحل ويربط بعد الاستقلال.

يهول الشيخ بو الأرواح كل هذه التغييرات التي حلّت بذويه بعد الاستقلال، فينتابه شعور بالخوف من المستقبل. فهو، تبعا للمعطيات الجديدة، لن يتمكن مرة أخرى من بسط سلطته على أقاربه واستغلال ضعفهم. لقد ارتقوا إلى مراكز اجتماعية عالية وصاروا في غنى عن ماله واطيانه، وليس ثمة ما يجبرهم على مجاراته، لاسيما أن بعضهم يكنّ له من العداوة ما يكفي لرد أية رغبة له، كما أن مبادئ بعضهم العقائدية تعارض مبادئه تماما.

يأتي بو الأرواح إلى قسنطينة باحثا عن معارف قدماء يكونون، بحكم ظروفهم الصعبة، مستعدين للتواطؤ معه من أجل الحفاظ على مصالحه. الا أنه يجد نفسه في مواجهة مجتمع مدني جديد، ينقض الإقطاع والرأسمالية ويساند خطة الفلاحين والعمال التي تهدف إلى تطبيق الثورة الزراعية . فيستدرك الشيخ بأن الشعب الجزائري قد تغير وبأن نفوذ رجال الإقطاع قد بدأ يتضاءل، لذا يقرر الاستفادة من موروثه الديني في مواجهة هذا المشروع الملحد، على حد تعبيره.

وحين يتأكد لـــ"الشيخ بو الأرواح" عدم جدوى مواجهته لهذا المشروع، تصيبه حالة من الجنون. فعقله لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه التغييرات الجذرية التي من شأنها

أن تدمر مصالحه.

أما رواية العشق والموت في الزمن الحراشي، الصادرة عام ١٩٨٠، فتجري أحداثها في أوائل السبعينات أثناء حكم الرئيس الهواري بومدين ، وتصور طلاب الجامعات الذين يتطوعون للعمل في الأرياف أثناء عطلهم، داعين إلى قيام الثورة الزراعية وتطبيق نظام اشتراكي من شأنه أن يوفر للفلاحين وصغار الملاكين حياة أفضل ويحقق العدالة الاجتماعية في الجزائر.

تضع الرواية الطلبة المتطوعين الاشتراكين، وعلى رأسهم "جميلة"، في مواجهة مع الطلبة الأصوليين الذين يترأسهم "مصطفى". ويقدم الوطار أيضا ثلاثة نماذج لشخصيات إسلامية تنتمي إلى جماعة حزب الله وتقرر الانفصال عن الطلبة الأصوليين والانضمام إلى صفوف الطلبة الاشتراكيين، وهم "بوزيد" "وعلوان" و"إبراهيم".

وفي نهاية الرواية، يجهض الوطار عمل الإسلاميين الرجعيين، فاتحا أبواب الأمل أمام الطلبة الاشتراكيين كي يتابعوا طريقهم من أجل تحقيق حياة أفضل للفلاحين والفقراء. فتبوء بالإخفاق محاولة مصطفى تشويه وجه "جميلة" بالحامض، ويفرّ هاربا من الطلبة المتطوعين.

أما "اللاز"، الذي التزم الصمت منذ ذبح "زيدان" ابان الثورة، فيعود الى حياته الطبيعية مع انتصار الطلبة الاشتراكيين، فيبارك الثورة الزراعية ويسعى الى تطبيقها.

أ. الزلزال:

تجري أحداث الرواية قبل إقرار مشروع الثورة الزراعية بقليل، وتحديدا في العام ١٩٧١. وهذا ما نتبينه من خلال حوارٍ يجريه الوطار بين الشيخ بو الأرواح وحلاق في أحد شوارع قسنطينة. إذ يسأل الشيخ هذا الأخير:

" - متى جئت؟

-إيه أنا أقدم واحد في السباط [أي الحي]. بعد الشيخ نينو* الدلال. هذه تسع سنوات منذ دخلت الحانوت فقط، أما السباط فهذه عشر.

- تسع سنوات يعني من مطلع الاستقلال**." ٢٣٤

في الزلزال ، تظهر الجوانب الإيجابية في المجتمع الجزائري، من منظار "الشيخ بو الأرواح"، سلبية قاتمة. فهو يستهجن وجود مستشفيات حكومية تؤمن العلاج للفقراء مجانا، ويتذمر من التعليم المجاني الذي يسمح لأبناء الفلاحين بالارتقاء في العلم إلى مستوى أبناء الطبقة الأرستقراطية. يقول، في شكل مونولوج داخلي، ساخطا:"هكذا فجأة من القعر، من أسفل سافلين إلى أعلى عليين. يا لها من وقاحة" ٢٣٥ .

يرفض الشيخ بو الأرواح هذه التغييرات الإيجابية في المجتمع الجزائري،

---

* أحد الحلاقين القدامى في الحي.

** استقلت الجزائر عن فرنسا في ٥ تموز ١٩٦٢.

٢٣٤. الزلزال، ص، ٨٧.

٢٣٥. الزلزال، ص، ٨٥.

لسببين: أولا: إنها تنقض تاريخه الإقطاعي الذي ورثه عن أبيه وجده، وتوفر للطبقة الفقيرة مكاسب اجتماعية كانت حكرا على الطبقة الغنية.

ثانيا: إنها تهدد مصالحه الشخصية من خلال سعيها إلى تطبيق العدالة في المجتمع. فمثل هذه التغييرات تأتي، في رأيه، بمثابة المقدمة لتطبيق مشروع الثورة الزراعية.

يعود "الشيخ بو الأرواح"، إزاء هذا الخطر الذي يداهمه، إلى مخزونه الديني، ينقب فيه عن معانٍ وإشاراتٍ من شأنها أن تضمن له استمراريته كإقطاعي. فهو يؤمن بأن الدين هو السلاح الوحيد الذي يخضع له البسطاء طوعا. لذا يفسّر ما ورد في القرآن الكريم، ويؤول ما قاله الشيخ ابن باديس، وفقا لمصالحه الشخصية، ملصقا بالاشتراكية ومشروع الثورة الزراعية صفات المروق والكفر والبدع. يقول: "لا! الشيء لمن يملكه: والتمليك وارد في القرآن الكريم. ثم، لا. الناس راضون بوضعيتهم، قانعون بما جاد به الله عليهم من فيئه وبما قسم عليهم الأرزاق. وما دخلهم هم [رجال السلطة] لولا أنهم يعجلون قيام الساعة بالمروق"[٢٣٦] .

يستخدم "الشيخ بو الأرواح" الدين ليزرع الذعر في قلوب الفقراء. فالقيمون على مشروع الثورة الزراعية، هم في نظره من المارقين. أما التمليك فهو حق يمنحه إياه الله ويحرمه منه الإنسان.

وفي موقع آخرٍ، يلعن "بو الأرواح" الحكومة بقوله:"لعن الله حكومة الكفار

---

٢٣٦. الزلزال، ص ، ١٣ .

والملحدين أعوذ بالله".[٢٣٧]

هو ينعت السلطة بالإلحاد لأن مشروعها يهدد نفوذه، ويستشهد بالشيخ ابن باديس ليدعم رأيه. يقول:

"لو عاش [ابن باديس] لكان لنا معه شأن. إنما الدين هو الدين. وليس شيئاً آخر. الدين الإخلاص للسلف وكل بدعة ضلال"[٢٣٨] .

يستعين "بو الأرواح" بالشيخ ابن باديس ليحارب مشروع الثورة الزراعية، ذلك أن ابن باديس عُرف برفضه للبدع التي أدخلت على الدين [٢٣٩] . والشيخ بو الأرواح لا يوفر جهدا ليستغل هذه النقطة، فينسب إلى هذا المشروع صفة البدعة، جازما بالتالي بعدم موافقة الشيخ ابن باديس على فحواه.هو يستخدم علما من أعلام التاريخ الإسلامي في الجزائر كي يثبت صحة موقفه من الثورة الزراعية.

يقدم الطاهر وطار قضية الدين كإيديولوجية يستعين بها رجال الدين والإقطاع كي يعطوا الاستغلال صفة الشرعية. فـ"بو الأرواح"، كما يقول أحد النقاد، لا يأخذ من القرآن إلا ما يمكن أن يخدمه تاريخياً أمام الجماهير الواسعة، فيكتسب الدين بالتالي معنى طبقيا[٢٤٠] .

---

٢٣٧. الزلزال، ص، ٢٦ .

٢٣٨. الزلزال، ص، ١٨ .

٢٣٩. راجع ، الميلي، محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، ص، ١٦٢.

٢٤٠. راجع، واسيني، الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ٩٢و ٩٣.

لا يشكل الاستقلال في نظر الشيخ "بو الأرواح" "أكثر من الحفاظ على التقاليد الإقطاعية الموروثة، وضمانا لمصالحه المهددة وما عدا ذلك فهو كفر والحاد"[٢٤١] . يقول: "استغفر الله، استغفر الله، الاستقلال استقلال، والانتصار انتصار، والاشتراكية والشيوعية شيء آخر"[٢٤٢] .فالاستقلال في رأيه ينبغي أن يأتي منزها عن مشروع ملحد كالاشتراكية. لذا يستغفر ربه من حاضر بلاده. ويرى أن من واجب أشراف الأمة أن يقفوا وقفة واحدة في وجه هذا المشروع. يقول: "إذا ما توحد أشراف الأمة من الأغنياء والعلماء ووقفوا وقفة رجل واحد ضد مشروع الزنادقة، وأحبطوه، فستنقذ هذه الأمة ويسلم دينها"[٢٤٣] .

يعطي الشيخ بو الأرواح لهذه المواجهة منحى دينيا، إذ يجعل مهمة إبطال الثورة الزراعية واجبا دينيا. لكنه يفشل على الرغم من كل محاولاته في درء الخطر عن نفسه، ذلك أن مشروع الثورة يفرض نفسه كحتمية تاريخية. لذا يتمنى الشيخ لو بقي الفرنسيون. يقول: "لو بقي الفرنسيون هنا. لو يعودون بشكل من الأشكال".[٢٤٤]

يكرر الشيخ في الرواية عبارة "صدق ابن خلدون".[٢٤٥] وهذه إشارة، في رأي أحد النقاد، إلى تفضيل العجم على العرب. وفي المفهوم المعاصر، إلى تفضيل "بو الأرواح"

---

٢٤١. واسيني، الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ٨٤.

٢٤٢. الزلزال، ص، ٣٥.

٢٤٣. الزلزال، ص، ٩٢.

٢٤٤. الزلزال، ص، ٢١٦.

٢٤٥. الزلزال، ص، ١٢.

للحكم الأجنبي على الاستقلال. فالأول يقبله "بو الأرواح" أكثر من المفاهيم الجديدة التي أتت بالإشتراكية والمساواة وغيرهما، وهي قيم تتعارض مع مصالحه[٢٤٦] .

إن أول ما يلفت الانتباه في رواية الزلزال من الناحية الفنية، على حد قول أحد النقاد، هو استغراقها يوما واحدا على الرغم من وقوعها في أكثر من مائة وخمسين صفحة[٢٤٧] . فهي من الناحية الفنية، تقترب من العمل المسرحي الكلاسيكي الذي يستشف الواقعية من خلال التزامه وحدة الزمان والمكان. فرواية الزلزال تبدو وكأنها تقدم مشهدا مسرحيا، يصور حالة الذعر التي تصيب "بو الأرواح" على أثر علمه بمشروع الثورة الزراعية، وكيفية تعاطيه مع الحدث، إلى أن ينتهي به الأمر إلى الجنون. فشخصية "بو الأرواح" تسيطر على معظم الرواية، سواء من خلال المونولوجات الداخلية أو من خلال الحوارات مع أبناء مدينة قسنطينة.

ويستخدم الوطار في الرواية أسلوب الارتداد إلى الماضي، حيث يتذكر الشيخ صلته القديمة مع أقاربه.

يكثر الكاتب من استعمال لفظة "الداكن"، فيضفي على الرواية جواً من التشاؤم يتناسب مع وضع "بو الأرواح" النفسي يقول الراوي: "شعر بإحساس غريب يملأ نفسه،

---

٢٤٦. راجع، غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ص، ٣٢٥ ، وسنشير إليه لاحقاً بـــ "غنايم، محمود".

٢٤٧. راجع، التين، م. ، الشعب.

حتى أنه فكر أن لونا ما، داكنا جدا، على أية حال، انصب في قلبه"[٢٤٨] .تتكرر في الرواية، ألفاظ مثل داكن ودكناء وداكنة أكثر من عشر مرات.كما تكثر فيها الآيات القرآنية، ولا سيما الآتيان رقم ١ و٢ من سورة الحج، التي يستخدمها الوطار ليصور حالة الزلزال. تقول الآيتان:"يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهب كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد"[٢٤٩] .تضفي الآيات القرآنية على الرواية جوا دينيا ينسجم مع شخصية الشيخ "بو الأرواح" الذي يعتد بالدين في محاربته مشروع الثورة الزراعية. ويذهب أحد النقاد إلى القول، إن رواية الزلزال تستعمل لغة خاصة. وهذه الخصوصية في رأيه مردها إلى ثقافة الشيخ الدينية وإلى تصوره الديني.[٢٥٠]

أما كلمة الزلزال التي تتصدر غلاف الرواية وتتكرر فيها مرارا، فتحتمل التأويل على وجهين:

أولا: إن ما يشهده الشيخ بو الأرواح في قسنطينة هو بمثابة زلزال أصابها. يقول صاحب مطعم بالباي في المدينة: "قسنطينة الحقيقية انتهت. أقول. زلزلت زلزالها"[٢٥١] .

ثانيا: إن قسنطينة تنتظر حدوث زلزالٍ ينفض عنها ما لحق بها من فساد وكفر.

---

٢٤٨. الزلزال، ص، ١٥.

٢٤٩. القرآن الكريم، سورة الحج، آية رقم ١ و٢.

٢٥٠. راجع، غنايم، محمود، ص، ٣٩.

٢٥١. الزلزال، ص، ٢٨.

يدعو "بو الأرواح" أحد أولياء الله الصالحين بقوله: "يا صاحب البرهان، يا سيدي راشد.. حركها بهم (صخرة قسنطينة) وبمنكرهم وفسقهم"[٢٥٢]. وفي موقع آخر، يقول: "الزلزال هنا سيكون أبشع زلزال عرف"[٢٥٣].

إن قسنطينة في نظر "بو الأرواح" أصابها زلزال وتنتظر حدوث زلزال جديد يقوّمها ويعيدها إلى سابق عهدها.

يختصر الطاهر وطار فئتي الإقطاع والشيوخ في شخص بطله" بو الأرواح". فهو في آنٍ واحد، الإقطاعي والشيخ الذي يقف في وجه مشروع الحكومة لأنه يهدد مصالحه الشخصية. لكنه يؤخذ على الوطار ، في رأينا ، أنه جعل الإقطاعي في الرواية موظفا. فرجل الإقطاع هو السيد الذي يستخدم اليد العاملة في استثمار أراضيه، في حين أن الموظف ينتمي في الهيكلية الإجتماعية إما إلى الطبقة الفقيرة أو إلى الطبقة المتوسطة. فالجمع بين صفة الإقطاعي وصفة الموظف في شخصية واحدة في الزلزال ، إنما يظهر تناقضا طبقيا ويحدث خللا في مضمون الرواية.

لا يضع الكاتب في الرواية نهاية بشعة وحاسمة لـ"بو الأرواح"، كالإنتحار مثلا، بل يكتفي بأن يحوله إلى مجنون. يقول أحد الباحثين في الأدب الجزائري معلقا على نهاية الزلزال: " كان بإمكان الطاهر وطار أن يضع نهاية بشعة لـ"بو الأرواح" ولكن حتى يكون التفاؤل تاريخيا ومبررا من خلال وقائع الواقع الروائي والاجتماعي، ترك النهاية

---

٢٥٢. الزلزال، ص، ١٧.

٢٥٣. الزلزال، ص، ٥١.

مفتوحة على عدة تفسيرات "[٢٥٤] .إن نهاية الزلزال تشير، في رأي أحد النقاد، إلى أن الإقطاع لم يسقط نهائيا في الجزائر. فـ"بو الأرواح"، كما سبق أوردنا، مدير في ثانوية حكومية، مما يعني، في نظر الدكتور جابر عصفور، أن عددا كبيرا من الشبان الذين تشبعوا بفكره سيظل يتضاعف مرات ومرات حتى تتحول الجزائر إلى طوفان من الدم والإرهاب."[٢٥٥] فـ "بو الأرواح"، في رأي الناقد، يحمل إرهاصات العمل الإرهابي الذي سيلحق بالجزائر.

إن عقم "بو الأرواح"، من هذا المنطلق، لا يرمز في الرواية إلى عدم إستمراريته، بل يشكل ضرورة فنية تقتضيها الحبكة الروائية. وإلا فكيف يوفق الوطار بين عقم بطله وبين عمل هذا الأخير كمدير لثانوية حكومية، خاصة وأن رسالة التعليم ترمز إلى استمرارية الذهنية في حين أن العقم يرمز إلى توقف النوع!

ب. العشق والموت في الزمن الحراشي:

إن أول ما يلفت انتباه القارئ في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي، العبارة التي تظهر على غلافها، وهي عبارة "اللاز ، الكتاب الثاني".

فالعشق والموت في الزمن الحراشي، الصادرة عام ١٩٨٠، تعد تكملة لرواية اللاز التي صدرت عام ١٩٧٤، لسببين:

---

٢٥٤. واسيني،الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ٩٦.

٢٥٥. راجع، عصفور، جابر، "الإرهاص بزلزال التطرف"، مجلة العربي، العدد ٤٩١، اكتوبر ١٩٩٩، ص، ٧٩.

أولا: إنها تتابع تصوير حياة معظم شخصيات رواية اللاز، في مرحلة ما بعد الاستقلال. إذ نلتقي مجدداً بـــ"اللاز" و"حمو" و"الربيعي" و"بعطوش"، الذين يعودون إلى الظهور، كما يقول الوطار، "في ثوب جديد وفي ظل مناخ جديد"[٢٥٦] ، تبعاً للطروحات السياسية الجديدة التي طرأت على الساحة الجزائرية.

ثانيا: إن الرواية تعد امتداداً زمنياً لرواية اللاز. فهي، كما يقول الوطار، تضع رسماً "للحياة السياسية والاجتماعية بعد الاستقلال"[٢٥٧] ، وتصور احداثا لحقت بالجزائر في أوائل السبعينات. في حين أن اللاز كانت تصور أحداثاً داخل الثورة.

يعمل الطلبة الاشتراكيون في الرواية ،على مساندة الفلاحين من أجل انجاح الثورة الزراعية، هاتفين بعقيدتهم:

"إيه شعبية ثورة زراعية

إيه شعبية تسقط الرجعية

إيه شعبية ثورة اشتراكية."[٢٥٨]

أما الطلبة الأصوليون، فيتبنون فتاوى دينية روّجت لها جماعاتهم في الريف الجزائري، مفادها "أن الاستفادة من الأرض حرام*، ذلك أن هذه الأرض مستولى عليها

---

٢٥٦. بن عبد الله، بلقاسم، الجمهورية.

٢٥٧. بن عبد الله، بلقاسم، الجمهورية.

٢٥٨. العشق والموت، ص، ٣٤.

* لقد قام الاصوليون في الجزائر بردة فعل عنيفة إزاء لجوء الحكم الى اليساريين طالبا مساعدتهم في انجاز الثورة الزراعية. يبقى عنوان ردة الفعل هذه، الكتاب الذي وضعه الشيخ سلطاني في المغرب ووزع سرا في الجزائر بإسم المزدكية أصل الاشتراكية. ويقول الكاتب أن الاشتراكية كفر، وكل فلاح يستثمر أرضا مؤممة هو كافر، والصلاة لا تجوز فوق ارَ انتزعت من أصحابها، خلافا لأحكام القرآن الكريم. وقد تحول الكتاب بسرعة مذهلة، الى دليل عمل الاصوليين، ومدخلا لتحالفهم مع كبار الملاكين (الجزائر الى أين، ص، ١٤٠)

بالقوة، وهي عند الله، شاء العبد أم أبى، ملك لأصحابها الأصليين، ثمرتها حرام والاستفادة بها كفر"[٢٥٩] . كما يطالبون بتطبيق أحكام التمليك الواردة في القرآن الكريم. فالملكية الإقطاعية في رأيهم حلال والتعدي عليها بالتأميم كفر. وهم يتطوعون للعمل في الأرياف "لإجهاض الحركة الطلابية في مهدها ومن الداخل"[٢٦٠] .

ويذهب أحد الباحثين في الشأن الجزائري إلى القول هنا إن الوطار يتميز في العشق والموت في الزمن الحراشي بقدرته على حشد الوقائع التاريخية وقولبتها ضمن إطار روائي جد منظم[٢٦١] . فالكاتب يصور في الرواية، أحداثا واقعية مر بها التاريخ الجزائري.

يمثل الأصوليون في الرواية امتدادا "للشيخ مسعود" في رواية اللاز. ويكشف الوطار أن وراء هؤلاء أوساطا استعمارية تهدف إلى إجهاض مشروع الاشتراكية، فيقول "الشريف" المتطوع الاشتراكي: "هؤلاء الطلبة [الأصوليون] وعددهم لا يتجاوز السبعة، لا يمثلون أنفسهم، وإنما يعكسون تيارا قويا، خيوطه تتفرع على كامل بلادنا، وتلتقي مع أخرى، تتفرع على كامل العالم."[٢٦٢]

أما "جميلة" الفتاة الجامعية، التي تناضل في الرواية من أجل "إعتاق الجزائر من

---

٢٥٩. العشق والموت، ص، ٣٥.

٢٦٠. واسيني، الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ٦٩.

٢٦١. راجع، واسيني، الأعرج، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص، ٦٢.

٢٦٢. العشق والموت، ص، ٣٩.

هيمنة الإقطاع وتسلط الاستغلاليين"[٢٦٣] ، فتشكل تواصلا ثوريا مع جميلة بو حيرد*.

فإذا كانت "جميلة" الخمسينات قد حملت قنبلة في حقيبتها، فإن "جميلة" السبعينات تحمل في ذهنها عقيدة راسخة عنوانها تطبيق نظام اشتراكي وإنجاز مشروع الثورة الزراعية. وهي تعرّض نفسها في سبيل تحقيق هذا الهدف لتهديدات الإسلاميين بتشويه وجهها بالحامض: "حمل قنبلة في الحقيبة اليدوية غير حمل فكرة عقائدية راسخة"[٢٦٤] ، تقول جميلة في نفسها.

إزاء هذين التيارين يظهر "اللاز" في الرواية بصمته ووقاره، مترقبا للصراعات التي طافت على السطح بعد الاستقلال. إنه يمثّل ذاكرة الشعب الذي يأبى أن ينسى ذبح "زيدان"، ويرفض اعتبار مهمة المجاهد قد انتهت مع إعلان الاستقلال. فالحق الذي ذبح من أجله "زيدان" لا بد أن يتحقق يوما: "ما يبقى في الوادي غير حجاره".

هذه اللازمة، التي تمثل كلمة الثوري الملتزم، بقيت تتردد على شفاه "اللاز"، الذي يرفض بعد الاستقلال "تغيير البدلة العسكرية التي يرتديها شتاء وصيفا، حتى عندما تآكلت، ولم يبق فيها موضع واحد تستطيع الإبرة أن تتثبت به، أصرّ على عدم انتزاعها

---

٢٦٣. العشق والموت، ص، ٣٤.

* المناضلة الجزائرية التي قامت بعملية استشهادية إبان الثورة.

٢٦٤. العشق والموت، ص، ٧٨.

مقابل بدلة مدنية."[٢٦٥] وحينما يشعر بالبرد، يطوف في المقاهي باحثا عن "قشابية صوف حمراء"[٢٦٦] تماثل قشابية المجاهدين الحمر، لأنها الوحيدة التي تبعث في نفسه الدفء.

يرمز "اللاز" إلى الشعب البسيط الذي ثار وكافح من أجل تحقيق العدالة، لكنه وقع ضحية استقلال منقوص، استقلال يبقي على الاستغلال والإقطاع والطبقية، لذا يظهر في الرواية "ذراعاه منفرجتان، تشكلان مع الرأس والصدر والعجز، صليبا كبيرا"[٢٦٧] .

إن جسده يرسم صليبا كبيرا، يحمل أرواح جميع الشهداء. " ففي كل ثانية تحل بهذا الجسم روح"[٢٦٨] . وهو لا ينزل يديه المصلوبتين إلا ليساعد الطلبة في عملهم التطوعي. إذ "يسرع إلى صندوق البطاطس الخاوي. يتلقفه بين رجلي جميلة ويسرع إلى تعويضه بصندوق عامر كان خلفه"[٢٦٩] . "إنه لأول مرة منذ الاستقلال يمد يديه لإنجاز عمل ما"[٢٧٠] . فالثورة الزراعية تشكل بالنسبة الى "اللاز"، الأمل الذي يخرجه عن جموده وذهوله. إنها فعل القيامة الذي يرفع عنه حالة الصلب.

يتضخم "اللاز" في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي، فيتحول إلى اسطورة: "يقولون اللاز ولد في اسبوع وليلة". ويقولون "اللاز ولد كن فيكون". ويقولون

---

٢٦٥. العشق والموت، ص، ٩.

٢٦٦. العشق والموت، ص، ١١.

٢٦٧. العشق والموت، ص، ١١٣.

٢٦٨. العشق والموت، ص، ١٤ .

٢٦٩. العشق والموت، ص، ١١٦.

٢٧٠. العشق والموت، ص، ١١٧.

"كل شعرة من شعراته مباركة زكية" [٢٧١] .إنها ثورة "اللاز" الشعبية التي تتحول إلى أسطورة بعد الاستقلال، بعد أن كانت منبوذة في بدايتها.

كما يكتسب "اللاز" في الرواية بعدا إنسانيا عاما. فهو كل إنسان يعاني القهر الطبقي ولا يتوصل إلى تحقيق حلمه بحياة عادلة: "اللاز كائن وغير كائن. كائن حيثما حللنا ولينا وجوهنا. اللاز يملأ الدنيا. هنا في الجزائر، هناك في المغرب، في تونس، في مصر، في الهند، في السند، في كل مكان لم تقم فيه ثورة العدل. في كل مكان يذبح فيه زيدان"[٢٧٢] .يرمز "اللاز" إلى كل ثائر في العالم ضد الاستغلال والطبقية.

كما أنه يرتفع في الرواية من طور الإنسانية إلى طور الألوهية فتحيط به النساء ويتضرعن إليه كي يحل لهن مشاكلهن. تناجيه إحداهن بقولها: "يا من لم يكن لك أب أو ولد. ولا أم ولا سند. يا من خرجت من شعاب الخلود جسدا يضم كل أرواح الطاهرين والصالحين"[٢٧٣] .وتناديه أخرى بقولها: "إرحمني يا من لا يرحم سواك"[٢٧٤] ، " يا سيدي اللاز، يا من كنت قبل أن تكون الأرض"[٢٧٥] . يرتفع "اللاز" في الرواية إلى مستوى الإله المخلص الذي يهرع إليه الناس بحثا عن الطمأنينة والسكينة. فيشتمل في شخصه على

---

٢٧١. العشق والموت، ص، ١٢.

٢٧٢. العشق والموت، ص، ٦٥.

٢٧٣. العشق والموت، ص، ٨٥.

٢٧٤. العشق والموت، ص، ٨٩ .

٢٧٥. العشق والموت، ص، ٩٠.

الإنسان والإله.

يبعث الوطار، من ناحية اخرى، في نهاية الرواية روح التفاؤل بمستقبل الثورة الزراعية، إذ يقول "بعطوش" بعد نجاة "جميلة":"أترون؟ الثورة الزراعية، صخرة، سيتحطم عليها قرنا كل رجعي، يحاول أن ينطحها"[٢٧٦] .

أما من حيث الاسلوب، فلا تبتدىء الرواية كسابقتها بأسلوب ارتدادي. ويذهب أحد النقاد إلى القول بأن التغيير في الأسلوب "لم يأت اعتباطا أو لمجرد أن الكاتب مدفوع بحب استبدال أدواته الفنية وتنويعها، إنما مصدر هذا الميل مرده إلى الواقعية التي تخلق أدواتها بنفسها بحيث تكون هذه الأدوات جزءا من المضمون ذاته. فالطاهر وطار يراعي الانسجام بين المضمون والتقنيات المستخدمة في صياغته. فهو يستفيد من "الفلاش باك" بطريقة ممتازة في "اللاز"-الكتاب الأول، وفي "عرس بغل"، في حين يتخلى عنه كمدخل للزمن الحراشي، لأن الكاتب نفسه يعيش هذا الزمن"[٢٧٧] .

يحتم الكاتب في الرواية تطبيق الثورة الزراعية باعتبار أنها ضرورة اجتماعية تحقق حياة أفضل للفلاحين والفقراء. لكنه لا يبحث في الخلفية التاريخية لهذا الطرح، ولا يتساءل لماذا لم تتم الثورة الزراعية قبل مرحلة السبعينات. فتبدو فكرة الثورة في الرواية وكأنها فكرة مستحدثة في عهد الهواري بومدين، في حين يشهد التاريخ

---

٢٧٦. العشق والموت، ص، ٢١٥.

٢٧٧. عامر، مخلوف، "اللاز من الكفاح المسلح إلى الزمن الحراشي"، مجلة المجاهد، العدد ١٠٨٢، ١ ماي ١٩٨١، ص، ٥٣.

الجزائري بأنها مشروع قديم يعود طرحه إلى الخمسينات.

فقد رأى مؤتمر سومان أو مؤتمر جبهة التحرير الوطنية في آب ١٩٥٦، كما يقول أحد الباحثين في الشأن الجزائري، أن الاستقلال لن يكون كافيا وأن إرساء مجتمع يتميز بإصلاح زراعي جذري أصبح ضرورة تاريخية لجزائر ما بعد الاستقلال[٢٧٨]. كما أعلنت الحكومة الجزائرية عام ١٩٦٣ عن الإصلاح الزراعي[٢٧٩] إلا أنها لم تبدأ بهذا المشروع إلا في مطلع السبعينات.

يصور الوطار الثورة الزراعية في السبعينات دون أن يبحث في جذورها وتطور مسارها. فيظهر المشروع وكأنه هبة سقطت من السماء، وتفتقر الرواية بهذا المعنى إلى التحليل السياسي العميق لما يطرح في مرحلة السبعينات.

يشكل الطلبة الاشتراكيون في الرواية، امتدادا لـــ "زيدان"، عضو الحزب الشيوعي الجزائري في رواية اللاز. ذلك أن حلمهم في تحقيق العدالة الاجتماعية لا يفترق عن حلمه.

ونلاحظ هنا أن الوطار لا يفرق بين الشيوعية والاشتراكية في رواياته. ففي حين انه ينسب ثورة "اللاز" الشعبية إلى الحزب الشيوعي الجزائري في اللاز، نجده في العشق والموت في الزمن الحراشي يحمّل "اللاز" مهام مباركة الاشتراكية والثورة الزراعية. ولا

---

٢٧٨. راجع، نظمي، تيسير، "الطاهر وطار: قراءة أولى في روايتي اللاز وعرس بغل"، مجلة الهدف، الخميس ٢ تموز ١٩٨١.

٢٧٩. راجع، سعيد، الصافي، الكاتب الفلسطيني، ص، ١٣٦.

يأتي الكاتب في الرواية الأولى على ذكر لفظة الاشتراكية، في حين أنه يذكر في الرواية الثانية الشيوعية والاشتراكية دون تمييز بينهما. يورد الطاهر وطار اسمه صراحة في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي، ويجري مقابلة بين شخصه وشخص برهما، أحد الآلهة عند الهنادكة. تقول جميلة في شكل مونولوج داخلي:

"اللاز المسكين مريض. مليون جميلة لا تستطيع إيقاظ مشاعر اللاز. وسيظل الطاهر وطار يعاني عقدة الشعور بالذنب ما لم يستيقظ اللاز"[٢٨٠] . فيأتي صوت الراوي معلقا: "ضحكت لهذه الخاطرة. حضر المؤلف في ذهنها بالصورة التي رسمتها له. "برهما" الذي شطر جسمه. وجعل شطرا في صورة رجل. وشطرا في صورة امرأة. وخلق من تزاوجهما رجلا عظيما. يدعوه الهنادكة "برات" وندعوه اللاز"[٢٨١] .

إن الأسلوب التقريري المباشر الذي يستخدمه الوطار يضعف من تماسك العمل الروائي. كما أن بعض الاستطرادات في العشق والموت في الزمن الحراشي، تشير إلى نرجسية المؤلف. كأن يقول الراوي متباهيا في ثنايا الرواية:"برهما، في رواية اللاز، كان عبقريا حقا. استطاع وهو يتحدث عن حوادث داخلية محضة، ذات طابع خاص، تجري ببلادنا أن يستشف جوهر حركة عبد الناصر ربط بين ما يجري عندنا وما يجري عندهم، وكما لو أنه يمسك بخيوط القضية كلها." [٢٨٢]

---

٢٨٠. العشق والموت، ص، ٢٢.

٢٨١. العشق والموت، ص، ٢٢.

٢٨٢. العشق والموت، ص، ١٤١.

ونحن نفهم أن يأتي هذا المديح على لسان قارئ اللاز أو ناقدها، أما أن يأتي على لسان الوطار نفسه، فهذا ما نستغربه.

أما النهاية في العشق والموت في الزمن الحراشي، فتصطبغ بتفاؤل اسطوري. إذ يقضي الطلبة الاشتراكيون على التيار الرجعي داخل القرى، ويصحو "اللاز" من غيبوبته ومن سفره التأملي الذي استمر سنوات منذ أن انتهى الكفاح المسلح. تقول الرواية: "عم نبأ استيقاظ اللاز، القرية بسرعة فائقة. كان الدليل اليقين، لمن يعلن استيقاظه، أنه غيّر ثيابه. نزع القشابية المزيقة بالحرير الأحمر. ارتدى بدلة عصرية أعطاها له الشيخ مبارك. حلق ذقنه. قص حتى شعر رأسه. زار كوخ زيدان أول ما زار. كان يسلم على كل سكان القرية، كأنما يلتقي بهم لأول مرة.كان يسير، ويلتفت حوله كأنه غريب، يدخل القرية لأول مرة"[٢٨٣] .

تنتهي الرواية بالنهاية السعيدة المفتعلة. إذ يتحقق حلم "اللاز" فينزع عن كتفيه القشابية الحمراء ويحج إلى كوخ زيدان ليبلغ روحه الساكنة في الدار، أن الحلم في تحقيق العدالة الاجتماعية قد تحقق.

من ناحية أخرى، يذهب الناقد الاجتماعي واسيني الأعرج إلى القول بأن الوعي الاجتماعي كان يحدث طفرة واحدة في الرواية، فتحول البعض من "حزب الله" إلى قوى التقدم، التي تلتقي في طروحات الميثاق والدستور، كان في رأيه غير مسوغ فنيا وفكريا،

---

٢٨٣. العشق والموت، ص، ٢١٧.

أي أن التحول كان من دون مقدمات تجعل منه مسألة معقولة.[٢٨٤] فابراهيم، أحد أعضاء الجماعة، يفاجئنا في منتصف الرواية بقوله لمصطفى: "غدا التحق بهم"[٢٨٥] . يأتي قراره بالالتحاق بالشيوعيين دون أي مسوغ فكري، مما يظهر ضعف الحبكة في الرواية.

تحقق روايتا الزلزال والعشق والموت في الزمن الحراشي،انتصارا مرحليا للمناضل اليساري على طبقة الإقطاع والشيوخ في الجزائر، بعد الاعلان عن مشروع الثورة الزراعية في عهد الهواري بومدين.

---

٢٨٤. راجع، الأعرج، واسيني، "جميلة والآخرون يقتحمون الواقع الحراشي بجرأة"، صحيفة الجمهورية، ٦ سبتمبر ١٩٧٩.

٢٨٥. العشق والموت، ص، ١٣٦.

الفصل السادس

خيبة المناضل اليساري في روايتي تجربة في العشق والشمعة والدهاليز

يعود الطاهر وطار بعد عشر سنوات من انقطاعه عن الكتابة الروائية، ليعبر، في روايتي تجربة في العشق والشمعة والدهاليز، عن الخيبة التي أصابت المثقف الجزائري اليساري بعد إخفاق حكومة بومدين في السبعينات في ضمان استمرارية ما سبق أن بدأت في تنفيذه على صعيد الثورة الزراعية. في هذه المرحلة يواجه الوطار الفشل التاريخي لجزائر الثورة في تطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية، ويدخل في العام ١٩٨٨ مع روايته تجربة في العشق زمن الخيبة، بعد مرور ثلاثة وعشرين عاما على بداية كتابته الرواية الأولى، اللاز.

تتناول رواية تجربة في العشق شخصية مستشار في احدى الوزارات في الجزائر ومناضل يساري سابق تصيبه حالة من الجنون على أثر استشارة يدلي بها لسعادة الوزير؛ اذ تتضح له خيانته لرفاق الامس ويبدأ في محاكمة نفسه.كما يصور الوطار في الرواية، تعلق المستشار بذكرى فتاة روسية تدعى "أولغا" تعرف عليها ابان الثورة.

أما رواية الشمعة والدهاليز فتتناول سيرة شاعر ومناضل يساري شارك في الثورة في الخمسينات، وتصور حقبا من حياته، وتستعرض ظروفا مرت بها ابنة خالته

"العارم" إبأن الاحتلال الفرنسي. كما تصور الرواية مشاعرالحب التي تربط بين الشاعر وفتاة تدعى "الخيزران".تفترض الرواية قيام الدولة الاسلامية، فيقف الشاعر شاهدا على التحولات الجذرية التي لحقت بالجزائر منذ انتشار المد الاصولي في ساحاتها، ويحلل الازمة باحثا في اسبابها. وفي صفحات الرواية الاخيرة ينتهي به الوطار الى الإعدام تنفيذا لقرار تتخذه جهات مختلفة في الجزائر.

أ. تجربة في العشق:

تتمحور رواية تجربة في العشق حول شخصية مستشار في وزارة التعليم العالي، يشهد له ماضيه بانتمائه إلى الشيوعية[٢٨٦]. وقد كان في السابق مديرا للمسرح الوطني الجزائري، غير أن السلطات أبعدته في عهد الشاذلي عن العمل المسرحي بسبب توجهه اليساري. وبدل أن يبتعد بعد إقالته من المسرح عن مؤسسات الدولة التي تعده "عدوا لها"[٢٨٧] نجده يتسلم مهام مستشار وزير في وزارة التعليم العالي. تقول له خادمته "فجرية": "كانوا يريدون أن يوقعوك بكل صفة، فوقعت لهم، بأن وهبتهم نفسك، مستشارا موظفا في وزارة التعليم العالي"[٢٨٨]. فالمدير السابق للمسرح يقبل أن يتنكر لتاريخه الشيوعي، فيصبح تابعا لمؤسسات نبذته ولا تزال تسعى لكي تزجه في قمقم.

---

٢٨٦. راجع، تجربة في العشق، ص، ١٥٤.

٢٨٧. تجربة في العشق، ص، ٩٠.

٢٨٨. تجربة في العشق، ص، ٢٧٧.

ونحن لا نعثر له في الرواية على اسم، إذ يكتفي الطاهر وطار بأن يطلق عليه لقب "المستشار"، فيكسبه بالتالي شمولية، إلا أن الوطار يعود فيزيل بعضا من الغموض الذي يغلف به شخص مستشاره، إذ يقول في حوار له مع المساء: "إن حضرة المستشار البطل الرئيسي لتجربة في العشق هو خمسون في المئة من نوع شخصية وطنية معروفة في عالم الثقافة والمسرح". ويضيف قائلا:"هو مصطفى كاتب مدير المسرح الوطني الجزائري حاليا*، وهو أحد رموزنا التاريخية الذي يبعد عن المسرح في السبعينات بتهمة أنه يساري..."[٢٨٩].

إن رواية تجربة في العشق، كما يقول الطاهر وطار، "هي من السيرة الذاتية"[٢٩٠] التي تتناول شخصية مثقف في مواجهة مع "قضايا هامة تمس مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات" في الجزائر.[٢٩١] ويحمل هذا المثقف في شخصه بعض ميزات شخصية مصطفى كاتب.

تصور الرواية حالة الجنون التي تعصف بالمستشار، إثر استشارة يدلي بها لسعادة الوزير. اذ يكلمه سعادته بواسطة الهاتف ويستدعيه بكلمات جدّ وجيزة وثاقبة،

---

* أي عام ١٩٨٩، تاريخ إجراء الحوار مع الطاهر وطار.

٢٨٩. الزاوي، م. ، والرايس.س. ، "من الصعب أن تحب عمود هاتف"، صحيفة المساء، ٢٨ شباط ١٩٨٩، ص، ١١، وسنشير إليها لاحقا بـــ الزاوي، م. ، والرايس.س. ، المساء .

٢٩٠. سراوي، س، "وطار وتجربته في العشق"، صحيفة الشعب، ٨ نيسان١٩٩٠.

٢٩١. شيناوي، سليم،"الطاهر وطار: أنا تاجر ثقافي"، صحيفة المساء، ٣٠/٢٩أكتوبر ١٩٩٣، ص، ١٠، وسنشير إليها لاحقا بـــ شيناوي، سليم، المساء.

مستبعدا تعابير متعارفا عليها مثل "صباح الخير" أو "السلام عليكم" أو "آلو"، مما يشير إلى خطورة الموقف الذي يود أن يحدث المستشار بشأنه. يأتيه صوت سعادته خلال الأسلاك الباردة، قائلا:"هاه يمكنك الحضور حالا"[٢٩٢].

يمثل المستشار أمام سعادة الوزير، صديقه الحميم إبان الثورة ورئيسه الحالي، فيبادره هذا الأخير بالقول:"بين يدي، وثيقة مرعبة، تحوي أسماء الطلبة والطالبات، والأساتذة الشيوعيين، وأماكن وجداول اجتماعاتهم، ومخططاتهم في الزحف على الأرياف الجزائرية، لا يعلم سواي بهذه الوثيقة، ولم أطلع أحدا عليها قبلك. أريد رأيك، ليس كمستشار وإنما كأستاذ وكصديق، مهما كانت إمكانياتي ومؤهلاتي، فتجربتي السياسية قليلة، ثم إن الجو الذي نحياه يفرض الحيطة من كل شيء، ولأي شيء. أنا لا أريد تصرفا أحمق في هذه القضية، ها ما رأيك؟"[٢٩٣] .

لا يتردد المستشار في الإجابة، بل يبادر سعادته على الفور بقوله: "الحل الوحيد يا سعادة الوزير أن تبلغها لسيادته في لقاء عاجل. مسؤولية وثيقة كهذه لا يمكن أن تتحملها سوى القيادة الثورية"[٢٩٤] .

إزاء موقف المستشار هذا، يرفع سعادة الوزير سماعة الهاتف ويطلب الرئاسة،

---

٢٩٢. تجربة في العشق، ص، ٣٦.

٢٩٣. تجربة في العشق، ص، ٨٧.

٢٩٤. تجربة في العشق، ص، ٨٧.

ويأخذ الإذن بمقابلة عاجلة مع سيادته، "لأمر خطير يتعلق بأمن الدولة"[٢٩٥] .

إثر هذا اللقاء مع سعادة الوزير، يقف المستشار في مواجهة مع الشيوعي الذي ينام داخله ولم يحرك ساكنا منذ أن أقيل من عمله المسرحي، فتعتريه حالة من الجنون تصل به إلى حد تعرية الذات. وتتكشف له نفسه على حقيقتها، فيتساءل غاضبا: "ألم يكن من المفروض، أن يثور حضرة المستشار، قائلا: إن للإهانة حدودا، وأنه يمكن أن يستشار في كل شيء، إلا في مثل هذه المسائل، حتى من باب المجاملة واللباقة. لماذا أبدى بلادة حس، تجاه الجرح الذي أوجع به القلب؟ الثمن الذي يطلبونه، أخذوه، هذه سنوات، فلماذا كل هذا التلاؤم والامتثال؟ أليست هذه خيانة، تجاه رفاق الأمس البعيد، ورفاق الغد المرتقب؟ هل من المعقول أن يبدي كل هذه الحيادية، تجاههم، أما كان من الشرف ومن المروءة والكرامة السياسية، أن يقول: هؤلاء، مهما كان الأمر، اقتسم معهم، نفس الأفكار والآراء والمبادئ، وبقطع النظر، عن تواجدي بعيدا عنهم، بحكم الظروف، والرأي القاطع هو أن تحرق هذه الوثيقة وأن تقول لمن أعطاكها، انه كذاب ومنافق، وملفق معلومات. لماذا كل هذه الاستقامة، وهذا الوفاء لمؤسسات تعتبرني عدوا لها؟"[٢٩٦]

يمثل المستشار أمام محاكمة ذاتية، منقبا عن هويته: هل هو شيوعي ملتزم أم هو تابع لمؤسسات الدولة التي تدين الشيوعية؟ فيجد نفسه في منزلة بين المنزلتين. فهو هذا الشيوعي الذي لا يجهر بشيوعيته داخل مؤسسات الدولة التي تدين الشيوعية. لكنه لم يعد

---

٢٩٥. تجربة في العشق، ص، ٨٩.

٢٩٦. تجربة في العشق، ص، ٨٩ و٩٠.

في إمكانه أن يستمر في النفاق، فيخلص المستشار إلى الإعلان أنه لا يزال وفيا للمبادئ والأفكار الوطنية والعروبية والشيوعية التي آمن بها في الأمس. يقول: "الحظ أنني ما زلت وطنيا وما زلت عروبيا... لتتكرر، فأتأكد منها: عاشق، عاشق، عاشق إلى يوم الدين والقيامة... الحظ أيضا، أنني أممي في كل ما سلف من تفكيري. لم يأت ذلك نصا، ولكن هناك من التلميحات، ما يكفي"[٢٩٧] .

يدخل المستشار في حالة من العشق، و"هو تعبير صوفي، كما يقول الوطار، وليس معناه الغرام، لكنه يعني الفناء في الشيء".[٢٩٨] فالمستشار في حالة فناء مع معشوقه الذي يتجلى له في عمود هاتف منتصب قرب الجسر الحوال المؤدي إلى الوزارة. يكتسب عمود الهاتف خصوصية في دماغ المستشار، لأن خيانته لرفاق الأمس تسربت بواسطة أسلاك الهاتف. فأعمدة الهاتف "ما كانت في يوم من الأيام تثير اهتمام أحد، وحتى ان التفت إليها أحد، اعتبرها كائنات فطرية وطفيلية"[٢٩٩] . إلا أن عمود الهاتف المنتصب قرب الجسر "لفت انتباه حضرة المستشار، أول مرة هذه ثلاث سنوات، كان يومها عائدا من الوزارة، وبالضبط إثر استشارة خاصة، طلبها سعادة الوزير"[٣٠٠] .

يتوق المستشار إلى الاتحاد مع معشوقه المتجلي في عمود الهاتف في محاولة

---

٢٩٧. تجربة في العشق، ص، ٢٦و٢٧.

٢٩٨. الزاوي، م. ، والرايس.س. ، المساء، ص، ١١.

٢٩٩. تجربة في العشق، ص، ٩٤.

٣٠٠. تجربة في العشق، ص، ٨٦.

للتكفير عن ذنبه. هو يحاول أن يصل إلى حد الذوبان مع عمود الهاتف، لعله يسيطر على الكلمات التي تسربت من خلاله.

ويوظف الطاهر وطار في الرواية إحدى الأساطير الإغريقية. إذ يجري مقارنة بين بروموثيوس والمستشار. فبروموثيوس هو أحد الأرباب الإغريقيين الذي سرق النار من السماء من أجل الإنسان، فأمر كبير الأرباب زيوس بتعذيبه. أما المستشار فهو المناضل اليساري الذي وهب مبادئه وآراءه الشيوعية لوطنه، فأمرت السلطات كما أمر الوزير بتعذيبه، وحكموا عليه جميعا بأن يعيش في منزلة بين المنزلتين. يقول المستشار في شكل مونولوج داخلي: "آهاه! عنده بروموثيوس. هذا الإنسان الإله، أو هذا الإله الإنسان، لاشك أنه بدوره كان عاشقا، وإلا لما فعلوا به ما فعلوا، لا شك أنه كان يعيش الحالة بين الحالتين، والمنزلة بين المنزلتين، لا شك أنه ليس سوى أنا."[٣٠١] فالمستشار، في رأي الوطار، هو بروموثيوس الذي يلقى العذاب لأنه يرغب في توفير حياة أفضل للبشرية من خلال دعوته لتطبيق الشيوعية.

تأتي رواية تجربة في العشق بمثابة إدانة للمناضل الشيوعي الذي يتنكر لماضيه ولمبادئه الشيوعية ويرضى أن يكون جزءا من السلطة، يقول الوطار: "تجربة في العشق هي إدانة للنظام البوليسي وفي نفس الوقت إدانة للمثقف الذي يساوم على حريته ويحاول التلاؤم مع السلطة بإيجاد تبريرات مختلفة. ولقد كانت "تجربة في العشق" حكما عما

٣٠١. تجربة في العشق، ص، ٣٠.

يجري أيامها في الثمانينات في العالم الاشتراكي وفي عالمنا العربي"[٣٠٢].

أما من حيث الأسلوب ، فيفسح الطاهر وطار المجال، في رواية تجربة في العشق، "للشكل ليتقولب مع المضمون"[٣٠٣] . فهو، إذ يصور حالة الجنون التي تنتاب بطله، يقدم فصولا مختلطة، يمكن، على حد قول الكاتب، "وضعها كما صادف، كما يمكن قراءتها بالتسلسل التصاعدي مثل التسلسل التنازلي، وبدون أي تسلسل، الشخصية الرئيسية تتفكك بدل أن تنمي"[٣٠٤]. فيتصف شكل الرواية بالتالي بالجنون كحال شخصيتها الرئيسية، وتتجلى مهمة القارئ الأولية في "البحث عن وجود حدث ما"[٣٠٥] .

كما تكثر الاستطرادات في الرواية، إذ يتطرق الوطار إلى الحديث عن الكتاب الذين يترجم إنتاجهم إلى لغات عدة. فيتساءل على لسان المستشار: "ما قيمة أن تقرأ في الهند، أو في الصين، أو في الاتحاد السوفياتي بطبعات ملايينية، إذا لم يرد اسمك في قائمة منشورات إحدى الدور الفرنسية أو الانكليزية".[٣٠٦]فهذا الاستطراد إنما يدل على غضب الكاتب اليساري من الامتداد الرأسمالي الذي طال الثقافات وفرض عليها معاييره.

كما يبحث الوطار في قول البعض أن "الأدب في هذا العصر دخيل على

---

٣٠٢. شيناوي، سليم، المساء، ص، ١٠.

٣٠٣. تجربة في العشق، ص، ٨.

٣٠٤. تجربة في العشق، ص، ٨ و٩.

٣٠٥. تجربة في العشق، ص، ٩.

٣٠٦. تجربة في العشق، ص، ١٧.

العرب"[٣٠٧].

ويقدم الوطار فصلا بعنوان "سر جزء المتجزئ"، هو عبارة عن حلم يراود ذهن المستشار بإعادة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين، وبإقصاء اليهود في جزيرة منعزلة، وبالحكم على بيغن بالموت في المصعد. فإستعادة مثل هذه الأفكار هي الطريقة المثلى التي يتبعها المستشار كي يغلبه النعاس ويغرق في الحلم.

ونحن لا نجد لهذا الفصل دلالة سوى أنه يؤكد بصورة مفتعلة قومية المستشار وعروبته، كما يفتح نافذة من الأمل الواهم في ذهن مناضل أممي خيبه الواقع.

من ناحية أخرى، يصور الوطار في الرواية، حب المستشار لفتاة روسية تدعى "أولغا" كان يعرفها إبان الثورة، إلا أنها لا تزال تحيا في ضميره ولا يفارق طيفها جدران منزله. وهي لا تشكل جزءا من الأحداث في الرواية، لكنها ترمز إلى شغف المستشار بروسيا، مصدر النظم اليسارية.

ويظهر تأثر الوطار في تجربة في العشق بتوفيق الحكيم، إذ يستلهم مشهدا من رواية بيجماليون. يقول الراوي في تجربة في العشق: "ظلت [أولغا] تنتصب في موضعها، ببسمتها السموح، وبصدرها الرحب، واجهها بنور مختلف القوى، مائه واط، خمسمائة ألف، عدة آلاف، استعار من المسرح، فرقة الإنارة، وشن هجومه، ظلت تنتصب في موضعها، تعاقبت الألوان على الجدار. كامل الجدار الذي تسكنه، لكن دون جدوى،

---

٣٠٧. تجربة في العشق، ص، ١٨.

فأحضر منقارا ومطرقة واقتلع قوالب الآجر، التي كانت خلفها"[٣٠٨] .

ولا يخفي الوطار تأثره بتوفيق الحكيم هنا، إذ ينوه في هامش الصفحة بأن "بعض هذه الصور يوجد ما يشبهها عند توفيق الحكيم"[٣٠٩] .

إن هذه الاستطرادات التي نوردها لا تؤثر في تطور الحدث الروائي. كما أن اجتزاءها لا يؤدي إلى حصول خلل في البناء الروائي، لكنها تسهم في تشكل حالة الجنون لدى المستشار، وتعكس تشرذم الأفكار في ذهنه.

أما اللغة في رواية تجربة في العشق فتتراوح بين تقريرية مباشرة وشاعرية صوفية. فالوطار يستخدم اللغة الصوفية حين يصور حالة العشق بين المستشار ومعشوقه المتجلي في عمود الهاتف: "أيها المعشوق الجليل، الكلمات لا تصدر في حالات اللقاء هذه ولا تتشكل حتى في الداخل، والكائن يعود إلى بدء طفولته، يبحث عن أصوات تتجمع لتؤشر إلى انطباع الشيء في ذهنه، والذي علّم الأسماء كلها، لخص أعظم أسرار الكون، في حاء وباء، أحبك، أحبك. يكفي أن العاشق هنا، وأن المعشوق في الزمان والمكان وأن الرضا يرفرف على الروح"[٣١٠] .

تكسر اللغة الصوفية في الرواية الرتابة التي تنتج عن استخدام الأسلوب التقريري المباشر في الاستطرادات. وتوفر المناخ المناسب لتصوير حالة العشق والجنون التي

---

٣٠٨. تجربة في العشق، ص، ١٨٠و١٨١.

٣٠٩. تجربة في العشق، ص، ١٨١.

٣١٠. تجربة في العشق، ص، ٨٦.

تعتري المستشار.

ب. الشمعة والدهاليز:

يذكر الطاهر وطار في مقدمة رواية الشمعة والدهاليز أن وقائع الرواية "تجري قبل انتخابات ١٩٩٢ التي خلقت ظروفا أخرى لا تعني الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة وليس على وقائعها"[٣١١] .

وتتمحور الرواية حول شخصية شاعر ماركسي أستاذ في الجامعة، يكتب باللغة الفرنسية ويحب كل ما يمتّن لغته العربية [٣١٢] ، وهو يعرّفنا عن نفسه في ثنايا حوار له مع إحدى الشخصيات، فيقول: "أنا أستاذ بالجامعة، وشاعر، وبسبب انشغالي بالمطالعة، لم أتزوج، ولن أفعل ذلك على ما يبدو... في الرابعة والأربعين من عمري، ويظهر أن القطار قد فاتني، وأن مهمتي في الحياة، تختلف عن مهمات جميع الناس، فحول العجول المعدة للتناسل"[٣١٣] .

ونحن لا نعثر للشاعر على اسم في صفحات الرواية، إذ يكتفي الطاهر وطار بأن يطلق عليه لقب الشاعر، فيكسبه بالتالي صفة العالم* والعرّاف الذي "تتمثل جريمته في فهم

---

٣١١. الشمعة والدهاليز، ص، ٧.

٣١٢. راجع، الشمعة والدهاليز، ص، ٢٥ .

٣١٣. الشمعة والدهاليز، ص، ٩٩.

* إن من شعر في اللغة العربية هو من علم. راجع، ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع، ص، ٤٠٩.

الكون على حقيقته"[٣١٤] .إلا أن الوطار يعود فيزيل هذا الغموض الذي يلف شخص بطله، فيقول في إطار أحد النشاطات الثقافية لجمعية "الجاحظية" في شباط ١٩٩٤: "إن بطلها- بطل رواية الشمعة والدهاليز- هو شاعرنا الفقيد يوسف السبتي. هذه الرواية التي قرأ منها جزءا في الصيف الماضي وأذكر أنه اندهش لما قرأه، واحتار كيف تمكنت من الحديث في ثناياها عن بعض الحالات والمواقف وربما منها ما يدخل ضمن الخصوصيات التي لا يعرفها إلا هو، أو بعض المقربين منه كوالدته، ولا أخفي عليكم فقد تنبأت بمصيره الا وهو الموت"[٣١٥] .

يهدي الوطار روايته، كما هو وارد في طبعة منشورات التبيين - الجاحظية، إلى روح الشاعر والباحث يوسف سبتي الذي كان يتنبأ بكل ما يجري قبل حدوثه.

إلا أن هذا الإهداء لم يظهر في الطبعة الصادرة عن منشورات دار الهلال في القاهرة.

تنقسم الرواية في فصلين: الأول بعنوان "دهليز الدهاليز" والثاني بعنوان "الشمعة".

في الفصل الأول، يرصد الطاهر وطار مراحل من حياة الشاعر إبان الثورة المسلحة، ملقيا الضوء على الحس الثوري والماركسي لديه. كما يضعه وجها لوجه مع حركي إسلامي يدعى "عمار بن ياسر"، وتنتج عن هذه المواجهة مناقشات سياسية

---

٣١٤. الشمعة والدهاليز، ص، ٨.

٣١٥. "يوسف سبتي بعيون الشمعة والدهاليز"، صحيفة الحياة العربية، ١٠شباط ١٩٩٤، ص،١٠ .

وإيديولوجية يستغلها الوطار كي يستفيض في تحليله للأزمة.

أما الفصل الثاني فيصور حالة الوجد التي انتابت الشاعر منذ أن التقى صدفة فتاة محجبة اسمها "الخيزران". ويقدم الوطار مشهدا يحاكم فيه الشاعر من قبل جهات مختلفة في الجزائر، بعد تقلده منصب وزير الفلاحة في حكومة الإسلاميين. وتنتهي المحاكمة بإصدار قرار الإعدام في حقه دون أن تسنح له فرصة الدفاع عن نفسه.

تنطلق الرواية من فرضية قيام الدولة الإسلامية، إذ يستيقظ الشاعر على "صوت هدير بشري قوي، يشبه ذلكم الهدير الذي ينبعث من التلفزة، خلال كل عيد حيث تعرض الصلاة من البيت الحرام"[٣١٦] . الشبان ينتشرون في كل ساحات الجزائر، "يرتدون قمصانا بيضاء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوات بيضاء، متساوية الأحجام، مثلما هم متساوو السن والقامة، واللحى المتدلية"[٣١٧] ، يهتفون بانضباط وعلى موجة واحدة "لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت وعليها نلقى الله"[٣١٨] .

يقف الشاعر الماركسي، بقميصه "الذي لا رقبة له وكأنه قميص ماوتسي تونغ"[٣١٩]، في مواجهة مع هذا المد البشري، باحثا في خلفيات هذه "التقليعة"[٣٢٠] كما يحلو له له أن يسمي هذه الأزمة. فيبدأ في سبر أغوار الماضي، يشرّح أحداثه ويتابع تطوره،

٣١٦. الشمعة والدهاليز، ص، ٩.

٣١٧. الشمعة والدهاليز، ص، ١٥.

٣١٨. الشمعة والدهاليز، ص، ١٥ .

٣١٩. الشمعة والدهاليز، ص، ٥٩.

٣٢٠. الشمعة والدهاليز، ص، ١٦١.

له أن يسمي هذه الأزمة. فيبدأ في سبر أغوار الماضي، يشرّح أحداثه ويتابع تطوره، محاولا أن يفهم من خلاله ما يجري في الجزائر من غليان ثوري لدى الجيل الشاب الملتحي. يقول في شكل مونولوج داخلي: "بالتأكيد، إن زمن ما يحدث حاليا، ابتدأ قبل الآن، ولربما قبل الليلة... زمن ما يجري في المدينة، وثبة طويلة شرع فيها منذ وقت بعيد، وما يحصل هو بلوغ الطرف الآخر من الهوة"[٣٢١] .

ونحن يمكننا، من خلال تداعيات الشاعر الفكرية، أن نحصر أسباب الأزمة في نظره في خمسة محاور هي :

١ . محور اللغة

يورد الوطار على لسان الشاعر أن قادة حركة التحرير الوطني قد أخفقوا عندما أغفلوا عنصر اللغة بعد الاستقلال، فلم يتعربوا و"لم يفرضوا على الإدارة التي ورثوها من المستعمر أن تتعرب... فراح الشعب، بفئاته المختلفة، يرفض أن يكون مرة أخرى مسودا لنفس السيد، أو بالأصح لسيد مزيف"[٣٢٢] .

ويذهب الشاعر إلى القول بأن هذا الإغفال لعنصر اللغة قد أثر سلبا على الشعب الجزائري، لأن "هذا الشعب لا يمتلك مدينة واحدة مشعة ثقافيا بعد قرن ونصف من

---

٣٢١. الشمعة والدهاليز، ص، ١٢.

٣٢٢. الشمعة والدهاليز، ص، ١٨.

استعمار استيطاني وثقافي آخر*، ليس هناك قاهرة ابنة الأزهر الشريف، ولا تونس بنت جامع الزيتونة الأعظم، ولا دمشق ولا بيروت، ولا بغداد"[٣٢٣] .

ونحن، إذا كنا نوافق الوطار في مأخذه على قادة حركة التحرير الوطني الذين توانوا عن تعريب الإدارات، فإننا نستغرب إغفاله لمدينة قسنطينة ، وللدور الذي لعبه رواد الحركة الإصلاحية، أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، في ترويج اللغة العربية مقابل اللغة الفرنسية في الجزائر. فقد اعتبرت مدينة قسنطينة أحد المراكز الثقافية الهامة في الجزائر منذ مطلع القرن العشرين، لأسباب عدة، من بينها:

- وجود "معهد ابن باديس" فيها، وهو أول معهد للدراسة الثانوية باللغة العربية في الجزائر، أسسه الشيخ الإبراهيمي عام ١٩٤٨ [٣٢٤] .
- وجود مسجد سيدي الأخضر ومسجد سيدي كموش فيها، فقد كان الشيخ ابن باديس يعطي دروسه في هذين المسجدين، فيلتف حوله الطلاب والمريدون[٣٢٥] . نشير هنا إلى أن الشيخ ابن باديس قد أمضى حياته في قسنطينه لا يغادرها إلا لماما[٣٢٦] .

---

* يشير الوطار هنا إلى الوجود التركي السابق للوجود الفرنسي في الجزائر (الشمعة والدهاليز، ص، ١٨).

٣٢٣. الشمعة والدهاليز، ص، ١٨.

٣٢٤. راجع، ص، ٥ من هذا البحث.

٣٢٥. راجع، الراسي، جورج، ص، ١٧٥.

٣٢٦. راجع، مرتاض، عبد الملك، ص، ٤١.

• سيطرة "جمعية العلماء المسلمين" على قسنطينة وما حولها، موطن ابن باديس ومعظم الشخصيات الأولى والرئيسية في الحركة الإصلاحية[٣٢٧] .

• صدور مجلة الشهاب لابن باديس في قسنطينة عام ١٩٢٥ واستمرارها نحو خمسة عشر عاما[٣٢٨] .

• صدور مجلة البصائر الثانية للشيخ الإبراهيمي في قسنطينة عام ١٩٤٧[٣٢٩] .

نتبين من خلال ما أوردناه أن الجزائر لم تكن تفتقر بعد الاستقلال إلى مدينة مشعة ثقافيا، كما يورد الوطار في رواية الشمعة والدهاليز، بل عرفت البلاد إلى جانب قسنطينة، مركزين ثقافيين أخرين هما مدينة تلمسان ونادي الترقي في مدينة الجزائر*، لذا فنحن نجد رأي الوطار مجحفا في حق رواد الحركة الإصلاحية، الذين ناضلوا من أجل الحفاظ على هوية الجزائر العربية.

نشير إلى أن بومدين قد اهتم في عهده (١٩٦٥-١٩٧٨) بمسألة التعريب، فاستقدم من المشرق العربي- خاصة من مصر-آلاف المعلمين ليعربوا الأجيال الجديدة[٣٣٠] فلم يغفل مسألة اللغة في مجال التعليم في المدارس والجامعات. لذا فإن قول الوطار بأن

---

٣٢٧. راجع، ويليس، مايكل، ص، ٢٧.

٣٢٨. راجع، ص، ٤ من هذا البحث.

٣٢٩. راجع، ص، ٥ من هذا البحث.

* للقارئ أن يعود إلى كتاب مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (ص ٣٣ إلى ٥٣) من أجل التعرف على هذين المركزيين الثقافيين.

٣٣٠. راجع، الراسي، جورج، ص، ٢٧٣.

القادة "أغفلوا عنصر اللغة"[٣٣١] يبدو في نظرنا غير دقيق.

٢. محور الدين

يعود الشاعر إلى ذاكرة الشعب الجزائري، ينقب فيها باحثا عن الخلفية الدينية التي دفعت بالجيل الجزائري الشاب إلى الارتداد إلى الأصول، أو إلى "نقطة الانطلاق"[٣٣٢] كما يحلو له أن يسميها، فيثورون وينتصرون باسم الإسلام. ويخلص الشاعر إلى القول بأن "الشعب الجزائري لا سلاح ثقافيا له سوى دينه"[٣٣٣]، فقد "ظل خطباء الحركة الوطنية يتقربون إلى الشعب بالخطاب الديني. حتى أنهم سموا المناضلين من أجل الاستقلال الوطني مجاهدين، وعنونوا جريدة الثورة بالمجاهد."[٣٣٤] .

إن الشعب الجزائري يحمل، في رأي الشاعر، ذاكرة إسلامية تفسر عودته إلى "النبع"[٣٣٥] بحثا عن حل لأزمته.

يلقي الطاهر وطار الضوء هنا على حقيقة تاريخية تعود خيوطها إلى القرن التاسع عشر، زمن الإعلان عن ثورة "الأمير عبد القادر" عام ١٨٣٢، أي بعد مرور

---

٣٣١. الشمعة والدهاليز، ص، ١٨.

٣٣٢. الشمعة والدهاليز، ص، ٨٣.

٣٣٣. الشمعة والدهاليز، ص، ١٩.

٣٣٤. الشمعة والدهاليز، ص، ١٧.

٣٣٥. الشمعة والدهاليز، ص، ١٠٧.

عامين على الاحتلال الفرنسي للجزائر. فقد أدرك "الأمير عبد القادر" أهمية الإسلام في الصراع ضد الفرنسيين. واستخدم تعبير "الجهاد"[٣٣٦] ليميز به حملته ضد "الكفار"[٣٣٧] . كما أطلق على نفسه لقب الأمير، المشتق من لقب أمير المؤمنين، مما يدل على السياق الإسلامي الذي غلف به الأمير صراعه[٣٣٨] .

أما ثوار جبهة التحرير الوطني فاكتسبوا، كما يورد مايكل ويليس، بدءا من الهجمات الأولى في تشرين الثاني ١٩٥٤، اللقب المستلهم إسلاميا، وهو المجاهدون، واستخدم قادة الثورة الإسلام "كسلاح استراتيجي" لحشد المسلمين الجزائريين نصرة للقضية الوطنية، ولإجبار أولئك الأقل حماسة على دخول الصراع[٣٣٩] .

كما أن الهواري بومدين، "عندما أطلق الثورة الزراعية عام ١٩٧٢، أعطاها بعدا دينيا"[٣٤٠]، ففي حديث له مع الطلبة المتطوعين شرح لهم أن الإسلام يقول: الناس سواسية كأسنان المشط. وأكد لمستمعيه أن ليس هنالك في الإسلام نص ديني واحد يمنع تطبيق الثورة الزراعية[٣٤١] .

---

٣٣٦. ويليس، مايكل، ص، ١٨.

٣٣٧. الراسي، جورج، ص ،٥١.

٣٣٨. راجع، ويليس، مايكل، ص، ١٨.

٣٣٩. راجع، ويليس، مايكل، ص، ٤٢.

٣٤٠. الراسي، جورج، ص، ٢٦٨.

٣٤١. راجع، الراسي، جورج، ص، ٢٦٨.

كان الشعب الجزائري وقادته يقومون بالثورات ضد المحتل باسم الإسلام، وينادون بتطبيق العدالة الاجتماعية باسمه، مما يظهر أهمية الدين كإيديولوجية لدى الجزائريين.

من هنا نتبين أن ارتداد الجيل الجزائري الشاب الملتحي إلى الإسلام هو ارتداد إلى هوية ثقافية انتسب إليها شعبه في مختلف مراحل ثوراته وإنجازاته.

٣. *محور الصراع بين جيل الآباء وجيل الأبناء في الجزائر*

يجري الطاهر وطار في رواية الشمعة والدهاليز مواجهة بين جيلين في الجزائر:

الجيل الأول هو جيل الآباء الذي قادوا الثورة المسلحة.

والجيل الثاني هو جيل الأبناء الذين قرروا أن يعودوا إلى نقطة الانطلاق، فوحدوا لباسهم والتحوا وغطوا رؤوسهم وخرجوا إلى الشارع متحدين الجميع ومتأهبين للموت وللسجن ولكل المصائب"[٣٤٢].

يقدم الطاهر وطار شخصية الحركي "عمار بن ياسر"، كنموذج للجيل الثاني. ويتيح له الفرصة كي يطلق العنان لمخيلته، فيتذكر "عمار" الموقف التخاذلي الذي اتخذه والده، أحد قادة الثورة، بعد الاستقلال. إذ "انكب [والده] على مشاكله وقضاياه الخاصة"[٣٤٣]، وتزوج من امرأة غنية ليضيف إلى شرف عمله الثوري شرف المال والثروة. كما دشن

---

٣٤٢. راجع، الشمعة والدهاليز،ص ٨٢ و ٨٣.

٣٤٣. الشمعة والدهاليز، ص، ٧٦.

حياته الجديدة بأن طلق* زوجته الأولى، وترك أطفاله يعيشون الفقر والحرمان، في حين راح هو يغرف من المال كيفما اتجه. تقول الزوجة الثانية في حديث لها مع "عمار": "إن هؤلاء الناس مرضى. أصاب الخواء أرواحهم... لا يملؤها شيء. راتبه كمجاهد، يكفيه ويكفينا، ويكفيكم أنتم، ومعمل الحلوى وحده، يعيل عدة عوائل، لكنه لا يستريح"[٣٤٤] .

لقد اتفق أبطال الثورة على أن ينسوا جبال الآلام التي حملوها على ظهورهم طوال سنوات الكفاح. لقد تواطأوا جميعا ورأوا أن يغضوا الطرف عما يعرفونه بعضهم عن بعض، وأن يبدأوا من جديد، فسمي جيلهم "بجيل التواطؤ"[٣٤٥] . لقد خانوا سني النضال "فبدل أن يحافظوا على شرفهم -يقول عمار- وشرف الشهداء ويقنعوا بما ينالهم... بدل ذلك، شمروا على سواعدهم وقالوا نحن لها، وبدل أن يحكموا المبادئ التي ضحوا من أجلها واستشهد لها مئات الآلاف... بدل ذلك نصبوا أنفسهم كل شيء. الفقراء الأغنياء اليمينيين اليساريين. المؤمنين. الملحدين الحكام المحكومين الثوار المتواطئين مع أذناب الاستعمار"[٣٤٦] . لقد اتفق جيل الثورة، بتواطؤ غريب، على اقتسام التركة التي خلفها الفرنسيون ونسوا أو تناسوا مبادئهم الثورية.

إزاء هذا الموقف النفعي من الآباء راح جيل الأبناء يفقد الثقة فيهم تدريجيا. يقول

* يقول الوطار في الرواية: "في أشهر قليلة، عرفت البلاد آلاف المطلقات". الشمعة والدهاليز، ص، ٧٦..

٣٤٤. الشمعة والدهاليز، ص، ٨٠.

٣٤٥. الشمعة والدهاليز، ص، ٧٤.

٣٤٦. الشمعة والدهاليز، ص، ٨٠ و٨١ .

"عمار": "فقدت الثقة فيهم جميعا... إنما اقتنعت، بأن عمل أبي لم يتم، وأنه بالإمكان إنجاز عملية إتمامه"[٣٤٧] .

لذا يعود جيل الأبناء إلى المخزون الثقافي الجزائري، يبحث فيه عن معين في هذه الأزمة، فلا يعثر إلا على هويته الدينية والاسلامية.

٤. *محور الصراع بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي في الجزائر*

يصور الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز الوضع السياسي في الجزائر بعد وفاة "بومدين" في "كانون الأول ١٩٧٨"[٣٤٨] وتسلم "الشاذلي بن جديد" مقاليد الرئاسة، فيقول على لسان "عمار بن ياسر": "يوم دخلت الجامعة، كانت الجزائر في منزلة بين المنزلتين. رئيس راحل ملايين تبكيه، وملايين تنهش عرضه. و رئيس قادم يقدح في الرئيس السابق... أجمعوا على أن الاشتراكية، لا تنفع، كما أجمعوا على أن الرأسمالية، بلية البلايا"[٣٤٩] .

شهدت الجزائر بعد وفاة "بومدين" مرحلة انتقالية، إذ أبدى نظام "الشاذلي بن جديد" في الثمانينات تسامحا معقولا مع المد الإسلامي، استخدمه في محاربة تهديدين:

---

٣٤٧. الشمعة والدهاليز، ص، ٨١.

٣٤٨. ويليس، مايكل، ص، ٩٧.

٣٤٩. الشمعة والدهاليز ، ص، ٨١.

الحركة البربرية والخصوم اليساريين المؤيدين لسياسة "بومدين" الاشتراكية[٣٥٠] . وقدم "الشاذلي بن جديد" في السنوات الأولى لتسلمه الرئاسة عدة تنازلات ظاهرة للاسلاميين، عندما عيّن في الحكومة وزراء متعاطفين معهم، وواصل برامج التعريب، ورفع مستويات التمويل الحكومي للمؤسسات التي تدرس القرآن الكريم، وافتتح جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في قسنطينة لتصبح أكبر جامعة تابعة لجامع في شمال أفريقيا[٣٥١] ، كما استقدم الشيخ "الغزالي" من الأزهر الشريف للإشراف على الجامعة[٣٥٢] .

كانت الجزائر في عهد "الشاذلي" تطوي صفحة الاشتراكية المسلمة، التي دعا "بومدين" إلى تطبيقها، وتبدأ نظاما جديدا أكثر ما يميزه هو "الانفتاح الاقتصادي."[٣٥٣] فشهدت البلاد مرحلة "تذبذب"[٣٥٤] ، كما يسميها الوطار، وظهرت على الوجه المعادلة الآتية: "لسنا فرنسيين قطعا. لسنا مسيحيين قطعا، لسنا اشتراكيين قطعا، لسنا رأسماليين قطعا..."[٣٥٥]

إزاء هذا الإحساس بعدم الانتماء إلى اليسار أو إلى اليمين الرأسمالي، وإلى جانب تشجيع الدولة للتوجه الإسلامي، راح الجيل الجزائري الشاب الملتحي ينتشر تدريجيا في

---

٣٥٠. راجع، ويليس، مايكل، ص، ١٨.

٣٥١. راجع، ويليس، مايكل، ص، ١٠٥و١٠٦.

٣٥٢. راجع، الراسي، جورج، ص، ٣٠٣.

٣٥٣. الراسي، جورج، ص، ٢٩٢.

٣٥٤. الشمعة والدهاليز، ص، ٨٢.

٣٥٥. الشمعة والدهاليز، ص، ٨٣.

المرافق الثقافية، وبالأخص في الجامعات. لقد قرروا أن لا هوية لهم سوى دينهم، فاحتكموا إليه وبدأوا زحفهم.

٥. محور الصراع بين الأعراب والمتفرنسيين

يصور الطاهر وطار في رواية الشمعة والدهاليز، الصراع بين البدو النازحين إلى المدينة وبين المتفرنسين الذين ورثوا مواقع المعمرين الفرنسيين. ويخلص إلى القول بأن روح التقليد التي طغت على الأعراب قد جعلتهم يتغربون ويتفرنسون مخفين حقيقتهم. لكنهم لم يتمكنوا من الاستمرار في النفاق، إذ "لم تمر ثلاثة عقود على تمدينهم حتى انفضحوا"[٣٥٦] . وراح جيل الأبناء يبحث عن الهوية التي زيّفها الآباء بتحضرهم المصطنع قبل الأوان. وارتدوا إلى الأصول ليثبتوا انتماءهم العربي والإسلامي.

إلى جانب بحثه في أسباب الأزمة لا يغفل الطاهر وطار اليساري النزعة أن يستقدم ماركس ولينين ليبديا رأييهما فيما يجري على الساحة السياسية في الجزائر. يورد على لسان الشاعر: "سيقول ماركس، أولا إن ما يجري هو أحد مظاهر إفلاس البرجوازية في أن تنجز التحول الطبقي، إما إلى الاشتراكية وإما إلى الرأسمالية"[٣٥٧] .أما لينين فسيتساءل "ماذا ستخسر الطبقة الكادحة إذا ما انتصر الفقراء وشيوخهم باسم الله"[٣٥٨]،

---

٣٥٦. الشمعة والدهاليز، ص، ١٩.

٣٥٧. الشمعة والدهاليز، ص، ١٢٩ .

٣٥٨. الشمعة والدهاليز، ص، ١٣٠.

وسيخلص "بعبقريته" إلى القول بأن ما يحصل هو "الكفاح الطبقي البديل في المرحلة الحالية"[٣٥٩] .

هذه هي الخلاصة التي يخرج بها الطاهر وطار بعد معاينته للأزمة. فالشبان الجزائريون ، في رأي الكاتب، لم يعثروا في مخزونهم الثقافي على ذخيرة سوى الدين الإسلامي، يحتكمون إليه فيطالبون باسمه بتحقيق العدالة الاجتماعية، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وفشل الحكومة الجزائرية في تطبيق النظم الاشتراكية.

أما من حيث الاسلوب فتتأرجح اللغة في رواية الشمعة والدهاليز بين مستويين: تقريرية مباشرة وشاعرية صوفية. ففي الفصل الأول من الرواية، "دهليز الدهاليز"، يسهب الطاهر وطار في النقاش السياسي، حتى يتحول النص إلى ما يشبه المقال الصحفي أو المرافعة الفكرية السياسية. أما الفصل الثاني من الرواية فيمتاز بلغة شاعرية رقيقة، تصل في بعض الأحيان إلى حد الصوفية. كأن يقول الشاعر مناجيا محبوبته "الخيزران":

"ما ان أقف حتى يمتلئ المسجد بك، المحراب، والجدران والزرابي وكل فضاء في المسجد يمتلئ بك، فلا أدري ما أقول وما أفعل. الله لا يتجلى لي. عيناك فقط تتجليان. الله لا يتجلى لي. بسمتك فقط تبهجني. وإني لأهرب منك إلى لقياك، كي أستريح قليلا من رؤياك، أكوي بالصلاة جروح الروح، فلا تكتوي"[٣٦٠] .

ترتبط لغة الحلم والتصوف بالمرأة ويتحدث الوطار إلى المساء عن سبب

---

٣٥٩. الشمعة والدهاليز، ص، ١٣٢ .

٣٦٠. الشمعة والدهاليز، ص، ١٥٢.

استخدامه هذه اللغة فيقول: "التقدم في السن اجتياز الخمسين سنة، يعني الهدوء اللغوي"[٣٦١].

لا يعتمد الطاهر وطار في الرواية على نظام الفصول القصيرة، بل يستعيض عنها بوضع نجمات ثلاث، هن حواجز بين ما مضى من النص وبين ما يأتي، مكتفيا بتقسيم الرواية إلى فصلين كبيرين. ويذهب عبد الملك مرتاض إلى القول في هذا الصدد بأن الوطار يتبع هذا الأسلوب بهدف الحصول على نص مندمج لا يتوقف له نفس... لكنه، في رأي مرتاض، لم ينجح في مهمته، بسبب كلفه باستعمال النجمات[٣٦٢] .

تزخر رواية الشمعة والدهاليز، في فصلها الأول خصوصا، بالاستطرادات وكثرة الارتداد إلى الماضي من خلال مونولوج داخلي يكشف أعماق شخصية الشاعر، فتغوص الرواية في "دهاليز الماضي البعيد وسراديب ذاكرة بطلها"[٣٦٣] ، وتصور حياة الشاعر في مدرسة الميلية والمدرسة الفرنسية الإسلامية، وتستفيض في سرد تفاصيل ليس من شأنها أن تحدث أي تأثير في تطور الرواية .

يبالغ الطاهر وطار في العودة إلى أحداث الثورة الجزائرية، فيسهب في الحديث عن ثوار الجبل، ويصور لنا بدقة كيف تمكنت "العارم"، ابنة خالة الشاعر، من الاحتيال على ضابط فرنسي حاول أن يعتدي عليها، فنجت منه بأسلوب ذكي ماكر. إلا أن هذا

---

٣٦١. الزاوي، م. ، والرايس.س. ، المساء ، ص، ١١.

٣٦٢. راجع، مرتاض، عبد الملك، "الشمعة والدهاليز"، مجلة العربي، العدد ٤٥١ ، يونيو ١٩٩٦، ص، ١١٢، وسنشير إليه لاحقا بـــ مرتاض، عبد الملك. العربي.

٣٦٣. يلمشري، مصطفى، "قراءة نقدية في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار"، السلام، العدد ١٣٣٤، ١٦ مارس ١٩٩٦، ص، ١٤.

المشهد يستحوذ على صفحات عديدة من الرواية دون أن يكون له أي دور فاعل في سياقها، ذلك أن حذفه من النص لا يحدث أي خلل سردي أو فني.

يأتي الطاهر وطار على ذكر بعض التفاصيل، التي يمكن ربطها بسيرته الشخصية. فهذا حوار يجريه بين الشاعر في سن الحادية عشرة وبين والدته، يرد فيه:

"- قلت، أريد أن أكون قصابا في الأعراس

- يافضيحتي، قالت ثم راحت تقهقه...

في الحق لم تقنعني أمي، ولقد كانت أمنيتي ولا تزال أن أكون قصابا"[٣٦٤] .

نشعر هنا بحنين الوطار إلى ذكريات مضت. إذ مر معنا في الفصل الثاني أنه كان شغوفا بالغناء، مولعا بالربابة. فقد عاد من "معهد ابن باديس" في قسنطينة يحمل ربابة، إلا أن أخوته وشووا به إلى أبيه فكسرها.

إن الوطار هنا ينتهز في رأينا فرصة السرد السيري ليعبر عن شوقه لماضٍ محبب لديه. وهو يكثر من إيراد التفاصيل، ولعله أراد أن يجعل من سيرة بطله الشاعر سيرة لتاريخ الجزائر الحديث، لكنه أخفق حين أغرق قارئه في أحداث ثانوية.

إن قارئ رواية الشمعة والدهاليز يشعر كأنه "أمام نصين، أحدهما يتصل بحرب التحرير وموقف الشاعر منها واندماجه فيها، والثاني هو وقوع الشاعر تحت وطأة محنة فكرية مدلهمة أودت بحياته."[٣٦٥] ونحن لا نجد أي مبرر فني لإسهاب الوطار في تصوير

---

٣٦٤. الشمعة والدهاليز، ص، ٤٠.

٣٦٥. مرتاض، عبد الملك، العربي، ص، ١١٣.

أحداث الثورة، سوى أنها كانت ولا تزال معينه الذي لا ينضب.

من جهة أخرى يذهب عبد الملك مرتاض إلى القول في العربي بأن النص يبالغ في الإفادة من الموروث الشعبي. ويورد بعض الأمثال الشعبية الجزائرية، ويأتي على ذكر أسماء بعض الأولياء في الجزائر أمثال سيدي بولزمان، وسيدي راشد، وهو ولي مدينة قسنطينة، وسيدي أبي مدين لمدينة تلمسان، وسيدي الهواري لمدينة وهران، وأبي العباس السبتي لمدينة بو العباس وسيدي عبد الرحمن الثعالبي لمدينة الجزائر[٣٦٦]...

أخيرا نلاحظ انتقال الطاهر وطار في الوقت، ويذهب فلولي بن ساعد إلى القول بأن هذا الانتقال كان عونا على التخفيف من وطأة المنظور السردي[٣٦٧] .

تشهد روايتا تجربة في العشق والشمعة والدهاليز تحولا لدى الطاهر وطار من طور التفاؤل إلى طور التشاؤم، ودخولا في زمن الخيبة. فبعد وفاة الهواري بومدين وفشل سياسته في إقامة ألف قرية اشتراكية ودخول الجزائر في منزلة بين المنزلتين، لا هي بالشيوعية ولا هي بالرأسمالية، يفقد المناضل اليساري حلمه بتطبيق العدالة الإجتماعية، فيتقمص مرة شخصية المثقف الذي أصابه الجنون بعد أن تنكر لماضيه النضالي، ومرة أخرى شخصية المثقف الذي يقع ضحية التحولات السياسية في جزائر الثمانينات.

يأتي زمن الثمانينات ليختلس التفاؤل من الطاهر وطار. فالأعمال السابقة، مثل

---

٣٦٦. راجع، مرتاض، عبد الملك، العربي، ص، ١١٣.

٣٦٧. راجع، بن ساعد، فلولي، "المنظور السردي في رواية الشمعة والدهاليز"، صحيفة الخبر، ٢٢ أيلول ١٩٩٧.

الزلزال وعرس بغل والحوات والقصر والعشق والموت في الزمن الحراشي، تزخر بالتفاؤل و"تصوغ العالم نظيفا وقريبا من الكمال."[٣٦٨] تأتي النهاية في كل من هذه الروايات لتنصر الخير على الشر، والنظم الاشتراكية على النظم الإقطاعية. ويقدم الوطار في رواياته السابقة مرافعة فكرية–سياسية تدافع عن أحلامه البريئة وتدافع عن سلطة سياسية ترعى أحلام البراءة[٣٦٩] . أما في روايتي تجربة في العشق والشمعة والدهاليز، فيقدم الوطار مرافعة فكرية–سياسية، تدين سلطة تدمر الأحلام.

---

٣٦٨. دراج، فيصل، "الطاهر وطار: الكتابة في قلب العاصفة"، مجلة الوسط، العدد ٢٦٢، ٣ شباط ١٩٩٧، ص، ٥٥، وسنشير إليه لاحقا بـــ دراج، فيصل، الوسط.

٣٦٩. راجع، دراج، فيصل، الوسط، ص، ٥٥.

الخاتمة

الطاهر وطار قصاص ومسرحي وروائي جزائري معاصر، واكب الثورة الجزائرية وشارك فيها منذ اندلاعها في الخمسينات. وهو من المثقفين القلائل الذين يلزمون أرض الجزائر حتى تاريخ كتابة هذه السطور، على الرغم من التهديدات التي تطالهم بعد أن غرقت البلاد في بحر من العنف الدموي إثر انتخابات عام ١٩٩٢.

يقول الوطار لملحق صحيفة النهار:"نحن باقون رغم كل التحديات، نحمي أنفسنا بأنفسنا، ونفرض على الدولة حماية المهددين منا"[٣٧٠] .

إنتاج الوطار الروائي هو بمثابة مرآة تعكس صورة الجزائر من الخمسينات حتى مطلع التسعينات. فرواياته تناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية وتحللها وتسهب في تصويرها، بدءا من الدعوة إلى تطبيق الاشتراكية، مرورا بالدعوة إلى تطبيق الثورة الزراعية في السبعينات، وصولا إلى البحث في خلفيات الحركة الأصولية في الجزائر. يقول الوطار: "دوري يمكن تلخيصه في أني إلى حد ما مؤرخ أديب للمجتمع الجزائري من الخمسينات حتى الآن"[٣٧١] . وفي موقع آخر يقول: "معظم أعمالي الروائية يكمل بعضها بعضا. أما سبب ذلك فعائد إلى أن هذه الأعمال ترصد مختلف مراحل الثورة الجزائرية أثناء مواجهة الاستعمار وبعدها، أي أثناء بداية معارك التنمية والبناء ولا سيما

---

٣٧٠. عقيل، رضوان، الملحق ، ص، ١٥.

٣٧١. نبيل ، غادة، الجمهورية .

أثناء مواجهة الاستعمار وبعدها، أي أثناء بداية معارك التنمية والبناء ولا سيما منها الثورة الزراعية" [٣٧٢] .

الثورة الجزائرية لا تنتهي في نظر الوطار مع إعلان الاستقلال، بل تستمر ما دام الشعب لم يحقق العدالة الاجتماعية المنشودة. لذا فإن ما يجري في الجزائر اليوم، هو في رأيه، وجه من وجوه الثورة. وهو في جميع رواياته يتوجه توجهاً يسارياً، ففي اللاز يدعو إلى الشيوعية وفي عرس بغل يدعو إلى القرمطية وفي رمانة والحوات والقصر يدعو إلى تبني اليسار إذ يجعل فيه الخلاص. أما في الزلزال والعشق والموت في الزمن الحراشي، فينصر الوطار مشروع الثورة الزراعية.

تتميز هذه الروايات في معظمها بجو من التفاؤل، يلازمها إلى أن يدخل الوطار زمن الخيبة في روايتي تجربة في العشق والشمعة والدهاليز. إذ يتبين له فشل الثوار في تطبيق الاشتراكية والثورة الزراعية، فتنتابه حالة من الجنون، نتمثلها في شخص بطله في رواية تجربة في العشق. يقول في مقدمة الرواية بصدد هذا الجنون: "ككاتب، أجدني مضطراً للدفاع عن الحالة"[٣٧٣] . أما في الشمعة والدهاليز، فيستحضر الوطار شخصيات يسارية مثل لينين وكارل ماركس يناقش معها أسباب الأزمة في الجزائر.

يجسد اليسار، في إنتاج الوطار الروائي، الخلاص للشعب الجزائري. ويضعه

---

٣٧٢. فرحات، أحمد، أصوات ثقافية من المغرب العربي ، ص، ١٠٧ .

٣٧٣. تجربة في العشق، ص، ٩ .

الكاتب دائما في مواجهة مع الدين، إذ يظهر محاولات الشيوخ المستمرة لإجهاض مشروع الاشتراكية والثورة الزراعية. فالكاتب في حال صدام دائم مع رجال الدين، إذ يبين استغلالهم للإسلام واستخدامهم له كأيديولوجية يبطلون بها عمل الثوار ويحافظون من خلالها على مصالحهم الشخصية. وهذا ما نستخلصه مليا من خلال رواياته، لذا ، نستغرب قوله للصحافة، كما توررده على لسانه إحدى المعلقات:"معركتي لم تكن أبدا في يوم من الأيام مع الدين ومع رجال الدين"[٣٧٤] .

يستفيد الطاهر وطار ، من ناحية أخرى، من التراث في رواياته. ففي رواية عرس بغل، يستخدم التراث العربي الإسلامي، وفي رواية الحوات والقصر، يستفيد على حد قوله، من التراث الإغريقي والروماني. يقول:

"في الحوات والقصر، وقبل أن أباشر الكتابة، أعدت قراءة التراث الإغريقي والروماني، ثمة مسحة من هذا التراث في الرواية"[٣٧٥] .

تفتقر كتابات الوطار أحيانا إلى العنصر الفني.إذ تغرق في استطرادات طويلة، تشبه الخطب والمقالات السياسية في الصحف. ويعلل أحد النقاد هذا الأسلوب الوثائقي المباشر للوطار بجرأته على تناول المواضيع السياسية والاجتماعية الساخنة. فالوطار، في نظر الناقد، هو أكثر الأدباء الجزائريين الكاتبين بالعربية جرأة في تناول مواضيع

---

٣٧٤. لارادي ، فوزية ، الفينيق ، ص، ١٨.

٣٧٥. الحرية، ١٩ حزيران ١٩٨٣ .

الساعة[٣٧٦] .

يعد الطاهر وطار من رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، بعد مائة وإثنين وثلاثين عاما من الوجود الفرنسي، وبعد أن حققت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية منذ الستينات إنجازات عالمية هامة مثل كتابات محمد ديب وكاتب ياسين...

لقد ظهرت الرواية العربية في الجزائر متأخرة عن الرواية العربية في المشرق العربي. فأولى روايات الوطار، اللاز ، ظهرت في العام ١٩٧٤، في حين صدرت أول رواية عربية في العام ١٩١٤ ، وهي رواية زينب للكاتب المصري محمد حسين هيكل.

تكتسب روايات الوطار أهمية، لأنها تسهم في نهضة الرواية العربية في الجزائر، وفي إظهار الوجه الثقافي العربي للجزائر المستقلة. فالكتابة باللغة العربية في الجزائر، تتسم ببعد حضاري، لأنها تتحدى عقودا من الوجود الفرنسي.

---

٣٧٦. التين، م. ، الشعب.

المصادر والمراجع

المصادر:

وطار، الطاهر، اللاز، الطبعة الرابعة، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

وطار، الطاهر، تجربة في العشق، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، نيقوسيا، ١٩٨٩.

وطار، الطاهر، تجربة في العشق، دار الإجتهاد، الجزائر، ١٩٨٩.

وطار، الطاهر، الحوات والقصر، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.

وطار، الطاهر، دخان من قلبي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢.

وطار، الطاهر، رمانه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

وطار، الطاهر، الزلزال، دار العلم للملايين–بيروت والشركة الوطنية للنشر والتوزيع– الجزائر، ١٩٧٤.

وطار، الطاهر، الشمعة والدهاليز، منشورات التبيين–الجاحظية، سلسلة الابداع الادبي، الجزائر، ١٩٩٥.

وطار، الطاهر، الشمعة والدهاليز، دار الهلال ، العدد ٥٤٦، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٥.

وطار، الطاهر، الشمعة والدهاليز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦.

وطار، الطاهر، الشهداء يعودون هذا الاسبوع، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.

وطار، الطاهر، الطعنات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩.

وطار، الطاهر، عرس بغل، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨.

وطار، الطاهر، العشق والموت في الزمن الحراشي، الطبعة الثانية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

وطار، الطاهر، الهارب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩.

الكتب:

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

احمد، رفعت سيد، ثورة الجنرال جمال عبد الناصر، دار الجيل-بيروت ودار الهدى-القاهرة، ١٩٣٣.

الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المركز الجزائري للإعلام والثقافة، بيروت، ١٩٧٥.

الأعرج، واسيني، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، مؤسسة دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦.

الأعرج، واسيني، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩.

بلحسن، عمار، التحليل السسيولوجي للادب والرواية، اقترابات نهجية وسسيولوجية من "البرجوازية الصغيرة والصراع الطبقي خلال الثورة الجزائرية" في رواية "اللاز" للطاهر وطار، (مذكرة التخرج)، اشراف الدكتور رياض يونس، جامعة وهران- معهد العلوم الاجتماعية، دائرة علم الاجتماع، ١٩٧٧.

بن جمعه، بوشوشه، مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ١٩٩٢.

بن قينه، عمر، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥.

الجزائر الى أين (١٨٣٠-١٩٩٢)، اعداد مركز الدراسات والابحاث في دار الكاتب العربي، توزيع مكتبة الشواف، ١٩٩٢.

الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨١.

الخالدي، سهيل، الثورة الزراعية في الجزائر، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، دار العودة، بيروت، لا.ت.

دوغان، احمد، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٦.

الراسي، جورج، الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٧.

سعد، فهمي، حركة عبد الحميد ابن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.

سلمان، نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

عثمان، عبد الفتاح، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، الطبعة الثانية، دار الجيل-بيروت ودار الهدى- القاهرة، ١٩٩٣.

فرحات، احمد، أصوات ثقافية من المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٨٤.

الفيصل ، سمر روحي، معجم الروائيين العرب، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٥.
القرآن الكريم.

كامبل، روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر، المجلد الثاني، دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت، بيروت، ١٩٩٦.

مرتاض، عبد الملك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، الجزائر، ١٩٨٢.

مرتاض، عبد الملك، نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر (١٩٢٥-١٩٥٤)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٣.

الميلي، محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩.

الولي طه، القرامطة أول حركة اشتراكية في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

ويليس، مايكل، التحدي الاسلامي في الجزائر، ترجمه الدكتور عادل خير الله، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

المقالات الصحفية:

احمامه، حسن، "الحوات والقصر متخيل العدد ورمزيته"، الزمان (يومية) ، القاهرة، العدد ١٠٦، السبت/الاحد ٢٢-٢٣ آب ١٩٩٨.

الاعرج، واسيني،"جميلة والآخرون يقتحمون الواقع الحراشي بجرأة"، الجمهورية (يومية)، الجزائر، ٦ سبتمبر ١٩٧٩.

بدران، نبيل، "المسرح الجزائري يواجه الإرهاب"، آخر ساعة (أسبوعية)، القاهرة، ٢٧ أيلول١٩٩٥.

بن ساعد، فلولي،"المنظور السردي في رواية الشمعة والدهاليز"، الخبر (يومية)، الجزائر، ٢٢ أيلول ١٩٩٧.

بن عبد الله، بلقاسم،"لقاء صدفة مع الطاهر وطار "جميلة ديالنا" أو "اللاز فاق" " ، الجمهورية (يومية)، الجزائر، ١٠ آب ١٩٧٨.

بوزفور، منصف، "الحوات والقصر" ، العالم السياسي (يومية)، الجزائر، ١١-١٨ كانون الأول ١٩٩٥.

بوزفور، منصف، "اللاز"، العالم السياسي (يومية)، الجزائر، ١٤ تشرين الثاني ١٩٩٦.

التين، م. ، "حول التجربة القصصية عند الوطار: ماذا يحصل لو عاد الماضي ليحكم على الحاضر"، الشعب (يومية)، الجزائر، ١٩ آذار١٩٧٥.

حميد، حسن، "في لقائه مع إلى الأمام،الطاهر وطار: لست مباشرا في كتابتي وأنما عميق عمق البساطة" ، إلى الأمام (أسبوعية) ، العدد ٢٢٢٢، بيروت، الجمعة ٤-١١ شباط ١٩٩٤.

دراج، فيصل، "الطاهر طار:الكتابة في قلب العاصفة"، الوسط (أسبوعية)، العدد ٢٦٢، لندن، ٣ شباط ١٩٩٧.

الركابي، جودت، "قصة اللاز للطاهر وطار، دراسة تحليلية" ، الثقافة الجزائرية (شهرية)، عدد ٣٣، الجزائر، ١٩٧٦.

الزاوي، م. ، والرايس، س. ، "من الصعب أن تحب عمود هاتف"، المساء (يومية)، الجزائر، ٢٨ شباط ١٩٨٩.

سراوي، س.، "وطار وتجربته في العشق" ، الشعب (يومية)، الجزائر، ٨ نيسان١٩٩٠.

السرساوي، احمد، "الطاهر وطار يحكي في عرس بغل كل تناقضات المجتمع" ، الثورة (يومية)، دمشق، ٧ تشرين الثاني ١٩٧٨.

سعيد، الصافي، "الطاهر وطار روائيا"، الكاتب الفلسطيني (مرة كل شهرين) ،عدد ٣، بيروت، حزيران ١٩٧٨.

...........،"الشهداء يعودون هذا الاسبوع في المسرح الوطني"، الشعب (يومية)، الجزائر، ١١ مارس ١٩٨٧.

شيناوي، سليم، "الطاهر وطار:أنا تاجر ثقافي"، المساء (يومية)، الجزائر، ٢٩-٣٠ اكتوبر ١٩٩٣.

...........، "الطاهر وطار يتحدث للثقافة الجديدة:في الأدب رسالة خلاص للإنسانية"، الثقافة الجديدة (شهرية)، السنة ٢٨، العدد ١١-١٢، بغداد، ايلول-تشرين أول ١٩٨١.

...........، "الطاهر وطار يسبل خرجة اعلامية متميزة وروايته الجديدة تنتظر لاخراج"، السلام (يومية)، العدد ١١١٢، القاهرة، ٢٦ حزيران ١٩٩٥.

عامر، مخلوف، "اللازمن الكفاح المسلح الى الزمن الحراشي" ، المجاهد (اسبوعية)، العدد ١٠٨٢، الجزائر، ١ ماي ١٩٨١.

عبد القادر، فاروق، "اللاز الانسان في الثورة"، الطليعة (شهرية)، السنة الثانية عشرة، القاهرة، يناير ١٩٧٦.

...........، "عرس بغل"، فكر وفن (غير منتظمة)، هامبورغ، ١٩٩٥.

عصفور، جابر،"الإرهاص بزلزال التطرف"، العربي (شهرية)، العدد ٤٩١، الكويت، ١ أكتوبر ١٩٩٩.

عقيل، رضوان، "الطاهر وطار:السلطة فاشية وتريدنا ان لا نقول الحقيقة" ، الملحق (أسبوعي)، بيروت، السبت ٢٠ كانون الأول ١٩٩٧.

عيد، عبد الرازق، "شخصيات اللاز والبعد السيكولوجي"، المجاهد (أسبوعية)، العدد ٧٥٩، الجزائر، ٢ آذار ١٩٧٥.

عيسى، مبارك،"دراسة نقدية لرواية الحوات والقصر" ، الشعب (يومية)، الجزائر، ٠٨تشرين الأول ١٩٨٧.

غموقات، اسماعيل، "الطاهر وطار:الحوات والقصر"، المجاهد (أسبوعية)، الجزائر،٣٠ ايار ١٩٨٠.

فاضل، جهاد، "الطاهر وطار:من حسن حظ الكاتب العربي أن له امتدادا في التاريخ"، العربي (شهرية)، العدد ٤٤٦، الكويت، كانون الثاني ١٩٩٦.

لارادي، فوزية، "الروائي والمفكر الجزائري الكبير الطاهر وطار للفينيق:أنا ضد المثقفين الذين يستسلمون للسلطة"، الفينيق (شهرية)، الجزائر، ١ كانون الاول ١٩٩٧.

"اللاز"، الحرية (أسبوعية) ، القاهرة، ١٩ حزيران ١٩٨٣.

مرتاض، عبد الملك، "الشمعة والدهاليز" ، العربي (شهرية)، العدد ٤٥١ ، الكويت، يونيو ١٩٩٦.

نبيل، غادة، "الطاهر وطار والزمن العربي" ،الجمهورية (يومية)، الجزائر، ٢ أيلول ١٩٨٧.

نظمي، تيسير،"الطاهر وطار:قراءة في روايتي اللاز وعرس بغل"، الهدف (أسبوعية)، بيروت، ٢ تموز ١٩٨١.

وهبي، ج.ع. ، "اللاز.هذه الرواية"، النصر (يومية)، الجزائر، ١٩ اكتوبر ١٩٧٤.

يلمشري، مصطفى، "قراءة نقدية في رواية الشمعة الدهاليز للطاهر وطار"، السلام (يومية)، العدد ١٣٣٤، القاهرة، ، ١٦ مارس ١٩٩٦.

يوسف،حسن م. ، "الطاهر وطار:اللغة الحية وجرأة الكشف والتحدي"، تشرين (يومية)، دمشق، ٢ كانون الأول ١٩٧٩.

..........."يوسف سبتي بعيون الشمعة والدهاليز"، الحياة العربية (يومية)، لندن، ١٠ شباط ١٩٩٤.

.... "Taher Ouattar", El-Moudjahid.,Journal quotidien, Algérie, le 26 septembre 1994.